الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

المـــــوضـــوع:

ثورة أبي نواس على المقدمة الطللية في الشعر العربي القديم

إعداد الطالب (ة): هاشم إسمهان

إشـــراف: أ.د/مهداوي محمد

لجنة المناقشة		
أ.ت.ع	فارسي حسين	رئيسا
ع.مناقشة	رحماني ليلى	ممتحنة
أ.ت.ع	مهداوي محمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1438-1439/2016-2017

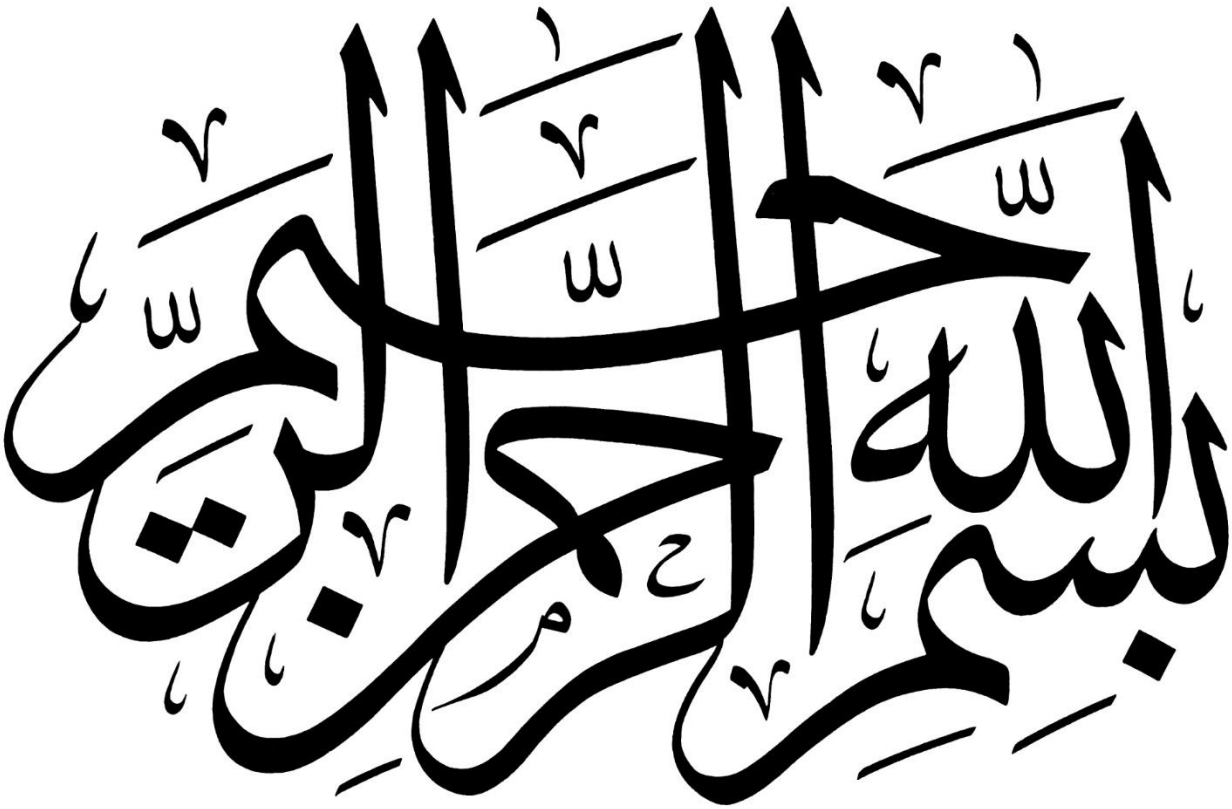
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

قال تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

صدق الله العظيم

إلى والدي ومثالي الأعلى في هذه الحياة ،وإلى والدتي الكريمة التي وهبتني الحنان والرعاية

منذ الصّغر ، فاللهم اِحفضهما وارعاهما وبارك لي فيهما .

إلى من تقاسمت معهم الحياة بحُلوها ومُرها إخوتي الثلاث : يوسف، فتحي ، إسماعيل

إلى عائلتي هاشم وَ وناس كبيرا وصغيرا ، فاللهم بارك فيهم،

وإنعم عليهم بالتيسير في أمورهم .

إلى جميع صديقاتي دون استثناء، وإلى أفراد دفعتي

وإلى اللذين ساعدوني من قريب أو بعيد ، فجزاكم الله ألف خير

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المُتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم،

والصلاة والسلام على مُعلم البشر ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

أولا قبل كل شيء ، أحمد الله سبحانه وتعالى ، هو مولاي

سدد خطاي وأنار طريقي ووفقني في إنجاز هذا البحث .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلي أستاذي الدكتور مهداوي محمد،

الذي تجشم عناء قراءة ومراجعة هذا البحث ،

و الذي حرص على أن يكون البحث بحتا أكاديميا في المستوى المطلوب،

والذي لم يبخل عليا بتوجيهاته ، ونصائحه القيمة والثمينة، طوال مراحل إنجاز هذا البحث،

فكان نِعْمَ المُعلّم والمُوجّه ، ونِعْمَ القُدْوَة ، ومني إليك أستاذي ألف تحية،

وألف شكر، وأطال الله في عمرك،

وإن كان لايُوفيك أي شكر حقك و فظلك كما أثني بالفضل على الأستاذين المناقشين ولهما كل الشكر والاحترام والتقدير .

وأقدم كذلك شكري وإمتناني لكل من شجعني

ودعمني ليتم هذا البحث

فلكم جميعا كل الشّكر والتّقدير .

فهرس الموضوعات

الفهرس:

- **الإهداء .**
- **الشكر .**
- **المقدمة** .....**(أ–ت)**.
- **المدخل : المقدمة الطللية** .....**(01–07)**.
- **الفصل الأول: نبذة عن حياة الشاعر أبي نواس**..... **(08–31)**.
  - المبحث الأول : مولده ونشأته..... .....(08-13).
  - المبحث الثاني : آثاره.....(14-23).
  - البحث الثالث : رأي النقاد فيه .....(24-31).
- **الفصل الثاني : الحياة السياسية والاِجتماعية والفكرية في عهد أبي نواس**...**(32–49)**.
  - المبحث الأول : الحياة السياسية.....(32-37).
  - المبحث الثاني : الحياة الاِجتماعية .....(38-43).
  - المبحث الثالث : الحياة الفكرية .....(44-49).
- **الفصل الثالث : المقدمة الخمرية** .....**(50–72)**.
  - المبحث الأول : الخمرة في أشعار العرب .....(50-57).
  - المبحث الثاني : موقف أبي نواس من المقدمة الطللية .....(58 -65).
  - المبحث الثالث : النوازع التي أدت بأبي نواس إلى التخلي عن المقدمة الطللية.(66-72).
- **الخاتمة** .....**(73–74)**.
- **قائمة المصادر و المراجع** .....**(75–79)**.
- **الملخص .**

المقدمة

الحمدُ لله حمداً طيباً كما ينبغي لجلال وجههِ ،و عظيم سُلطانه ، و الصّلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء و المرسلين ، و على آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فلقد عاش الشّاعر أبو نواس في العصر العباسي الأول الممتد من 132هـ-232هـ ، وسُمِّيَ هذا العصر بالعصر الذهبي ، فتميّز هذا العصر بالِازدهار العلمي و الِاقتصادي والتجاري ، و كذلك إزدهر فيه الأدب و الشّعر ازدهارا كبيراً ، فتفنّن الشعراء في أشعارهم و من بينهم الشّاعر النّواسي الذي ثار على المقدمة الطّللية ، و إستبدلها بالمقدمة الخمرية ،وهو بذلك أسس مذهباً فنياً مُبتكراً،لايخضع لأية سُلطة، فرفع راية الشعر الخمري ، ثم خرج عن المألُوف ، و تجاوز النّسيب و الطلل لِيَخْلُصُ في بكاءهِ و حبه لخمرةٍ عشقها حتى كادت أن تكون معبودتهُ ، و لقد برع النواسي في شعر الخمرة و تقلّد الريادة و لُقِّب أبًا للخمريات و زعيمًا لها ، فتفن في وصفها ، و أكثرُ شعرهِ يتحدث عنها .

و قد أثارت شخصيّة أبي نواس اِهتمام الكثير من الباحثين و الدارسين و النّقاد ، و اِستثارت إهتمامهم ، بوصف الشاعر عَلَماً للتمرّد و الثّورة في عصره ، لذا تكمن أهميّة هذه الدّراسة في تفصيل جوانب ثورته على المقدمة في الشعر العربي القديم ، و دعمها بأشعارٍ نظمها الشاعرُ لأجلها ، و قد اِرتأيت أن ينتظم عَقْدُ هذه الدّراسة على مقدمةٍ و تمهيدٍ ، و ثلاثة فصول ، و خاتمة .

حيث تحدّثتُ في التّمهيد عن المقدمة الطللية ، التي دَرَجَ الشُعراء في العصر الجاهلي على اِستهلال وبدء قصائدهم بالوقوف على الأطلال ، و البُكاء على الأحِبّة.

تناول الفصل الأول نبذة عن حياة الشاعر أبي نواس ، و إحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث ، عرضت في الأوّل مولده و نشأتهُ ، أما الثاني تحدثتُ فيه عن آثارهِ ، و الأخير تناولت فيه رأي النقاد فيهِ .

و في الفصل الثاني تحدّثت عن العصر الذي عاش فيه أبو نواس ، وكان هذا الفصل من ثلاثة مباحث ، عرضت في أوّلهِ الحياة السياسية ، و ثانيهِ الحياة الاجتماعية التي كان لها الأثر الكبير على أبي نواس ، أما الثالث : فتناولتُ فيه الحياة الفكرية .

أما الفصل الثالث : تحدّثت فيه عن المقدّمة الخمرية ، و إحتوى على ثلاثة مباحث ، الأول يتناول الخمرة في أشعار العرب بدءاً من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ، و في الثاني موقف أبي نواس من المقدمة الطللية ، أما الثالث الدوافع التي جعلتهُ يتخلى عن هذه المقدمة و يستبدلها بالمقدمة الخمرية لنخرج بخاتمة في المطاف كحوصلة لبحثنا المتواضع .

و من بين هذه الأسباب التي جعلتني أختارُ هذا الموضوع هو حبُّ الإطلاع و الإكتشاف ضِفْ إلى ذلك ما تميزت به شخصية أبي نواس و أشعارهُ التي ما ترك غرضًا إلا وكتب فيه .

وكان ديوان أبي نواس ، وكتاب " أبو نواس بين العبث و الإغتراب و التّمرد " لأحلام الزعيم ، وكتاب " أبو نواس التّحظي و الإلتزام " لعلي شلق ، و كتاب " مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول " لمصطفى بيطام ، من أهم المصادر و المراجع التي إستعنت بها لإتمام هذا البحث ، فضلا عن عدد من المذكرات.

و لا يفوتني التّنبيهُ إلى بعض الصعوبات التي إعترضت طريقي و هو أمر طبيعي فلا يخلو أي بحثٍ من الصعوبات و العراقيل ، ومن بينها أنّني لم أجد بعض المصادر مثل كتاب " أخبار أبي نواس " لإبن منظور ، و كتاب "طبقات الشعراء " لابن معتز ، وكتاب "مختار الأغاني " لابن منظور ، التي لطالما صادفتها في هوامش المراجع التي إستعَنتُ بها في بحثي ، كذلك الإكتظاظ على مستوى المكتبات الجامعية ، و قِلة الكتب التي قلَّما صادفتها متواجدة في رفوف المكتبة.

لقد إعتمدتُ في هذا البحث على المنهج التاريخي ، لرصد التغيير الذي طرأ على البُنى الاجتماعية ، و السياسية ، و الفكرية ، في العصر العباسي الأول ، بالإضافة إلى المنهج الوصفي للإجابة على الأسئلة المختلفة .

و ختام القول : أنّني اِجتهدت ما اِستطعت في هذا البحث ، و إن كان فيه بعض التقصير والنقص فذلك لضيق الوقت و الكمال لله وحده .

و أسأل الله عز وجل التوفيق في هذا العمل.

إسمهان هاشم

تلمسان يوم :30 أفريل 2017م.

مدخل: المقدمة الطللية.

استهلَ جُلُّ الشعراء القدامى قصائدهم بالوُقوف على الأطلال، و البكاء على الديار، ووصفها، لاَسِيَمَا الشعراء الجاهليون، فجعلوا من ذلك قاعدةً حتميةً لايخرجون عليها إلا نادرًا ،فإفتتحوا قصائدهم بالتغزل بالمحبوبة، و الوقوف على الديار و البكاء عليها ، فكان الغرض من القصيدة التغزل و الوقوف على الأطلال، لكن الغرضين مستقلان عن بعضهما البعض،و لعل السر الدفينَ في نشأة هذا الشعر هو الحنين الذي شَعَر به الشاعر في دار محبوبته بعد أن خلت هذه الدارُ منها، فوصفوا بقاياها، ثم وصفوا أحوالهم النفسية بعد الوقوف فيها، وبكوا بعد ذلك وإستشعروا الحزن و الكآبةَ، هكذا أَلِفَ وسار شعراء الجاهلية على هذا النمط البنائِي والشكلِي للقصيدة العربية في ذلك الوقت .

ولعل أول من كتب على هذا المنوال هو الشاعر الجاهلي امرؤُ القيس، لكن هناك من يرى أن النشأة الأولى لشعر الأطلال لم تكن على يده بل كانت على يد شعراء آخرين "يقول ابن سلام الجُمحي في كتابه *طبقات الشعراء* على لسان من يُقدمون امرؤُ القيس على غيره من الشعراء، فإحتج لِامرئ القيس من يُقدمه، فقال : ماقال ما لم يُقولوا "أي الشعراء" ولكنه سبق العرب إلى أشياء إبتدعها ، إستحسنها العربُ ، وإتبعته فيها الشعراء منها : إستيقاف صحبه ، و البكاء في الديار ، ورِقة النسيب..."[1].

"ونفهم من كلام ابن سلام أن امرؤ القيس هو الذي إبتدع شعر الوُقوف على الأطلال ، ولكن ابن سلام نفسه يشك في هده الدعوى ويَستدلُ على صحة شكه بقول امرؤ القيس نفسه:

"عُوجَاعَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِيَارَ كَمَا بَـــكَى ابنُ حَذَامِ"

ونرى أن امرؤُ القيس نفسه قد إعترف بأن شاعرًا قبله قد سبقهُ إلى بكاء الأطلال ، ويقول الرُواة بأن هذا الشاعر من طَيئ ، ولكنهم لا يعرفون إسمهُ ولا العصر الذي عاش فيه".[2]

[1] شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليلية ، د.عزة حسن ، دمشق سنة 1978 ص11.
[2] المرجع نفسه ص11.

وهنا نطرح سؤالاً ونقول: هل شعر الأطلال كان عل يدِ امرؤ القيس ؟ أم أن هذا الشاعر هو الذي اِبتدعَ فيه ،وجعلهُ شعرًا قائمًا بذاته ،وطريقةً جديدةً إبتدأ بها الشعراءُ الذين جاؤوا بعده قصائدهم؟ .

"إذا بحثنا في الموضوع من وجه آخر ، وذلك أننا إذا قرأنا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء عصره نجدُ شعر الأطلال عندهم تاما ناضجًا ، مُؤتلف الأجزاء في ألفاضه ومعانيهِ ، وكُلُ ذلك يُوحي إلينا أن شعر الأطلال عند امرؤ القيس و أصحابه كان نتيجة تطور طويل، في طريقة طويلة ، قطعها هذا الشعر في تطوره و تغيره و تكامله ،خلال عصور سابقة لعصر امرؤ القيس و أصحابه ."[1]

وللإجابة على السُؤال الذي طرحناه سابقاً نقول :" أن امرأ القيس إن لم يكن هو الذي فتح هذا الباب ، وسبق غيره من الشعراء إلى الوقوف على الأطلال ، و البكاء في الديار ، فلا يبعد عندنا أن يكون هو الذي أكثر من هذا البكاء في قصائده ، وأطال فيه ، وصرف القول فيه على فنون كثيرة ، وأثنى فيه بأكثر معانيه ، حتى صار بعض الرواة ومن اِتبعهم من الأدباء و النقاد العرب القدامى، يُنسبون إليه إختراع هذا الفن والنتيجة أن امرأ القيس قد جردَ شعر الوُقوف على الأطلال ، وأطال فيه ، وزاد في معانيه وصورهِ."[2]

إن شعر الأطلال جاء نتيجة الذكريات التي كانت مدفونة في أعماق الشعراء ، فكانوا ينسونها حينًا ، ولكن يعودون لتذكرها حينًا آخر، لا سيما إذا مروا بآثار ديار محبوباتهم ، فيبكون بألمٍ وحسرةٍ و بحُرقةٍ على أيام ذهبت و لن تعود، فأنتجوا لنا شعراً خِصبًا يُعبر عن تجاربهم وإنفعالاتهم الصادقة بتعبير بسيطٍ و واضح دون تكلف ولا تصنع ، فسميت بالمقدمات الطَلَلية التي سار على منوالهم كثير من شعراء تلك الحقبة .

[1] المرجع نفسه ص12

[2] المرجع نفسه ص12

فالشاعر امرؤ القيس نظم قصيدته المشهورة التي سميت بالمعلقة فوقف طويلاً على الديار و بكى عليها يقول :

"قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَــالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْـــــأَلِ

رُخَاءً تَسِيحُ الرِّيحُ فِي جَنَبَاتِهَا كَسَاهَا الصَّبَا سُحْقَ المَلاَءِ المُذَيّــلِ

تَرَى بَعَرَ الصِّيرَانِ فِي عَرَصَاتِهَا وَ قِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حُبُّ فَلْفُــــــــــلِ

كَأَنِّي غَدَاةُ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سُمُرَاتِ الحَيّ نَاقِفُ حَنْطَـــــلِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لاَتَهْلَــكْ أَسًى وَتَجَمَّــــلِ

فَدَعْ عَنْكَ شَيْئًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ لَكِنْ عَلَى مَا غَالَكَ اليَوْمَ أَقْبَــــل

وَقَفْتُ بِهَا حَتَى إِذَا مَا تَرَدَدَتْ عَمَايَةُ مَحْزُونُ بِشَوْقٍ مُــوكِــــــــــلِ".[1]

يَستهل هنا الشاعر قصيدته بالوقوف عل الطلل ، فيُنادي على صاحبيه بأن يساعداه ويعينانه على البكاء عند تذكر حبيب فارقه ومنزل خرج منه ، إذ أن آثار هذه الديار مازالت باقية ،ولم تندثر و مازالت الرسومات عالقة على جدارها ، حتى أن هذه الديار عندما خلت من أهلها سكنتها ظباءٌ شديدة البياض، فتراها تتجول في فناء الدار، فبكى هذه الآثار بحرقة و شوق.

" فنالت معلقتهُ شهرة لم تتمتع بها سائر القصائد الجاهلية ، وبها ضُرب المثل فقيل:"أشهر من قفا نبك" أما دوافع نظمها فهي حبه لِابنة عمه عنيزة، أو فاطمة، وقد خرج في نزهة إلى "دار جلجل " حيث كانت عنيزة وصواحبها ، فذبح لهن ناقته وأقام معهن " يوما صالحا"، يبدأ الشاعر قصيدته

[1] ديوان إمرئ القيس ، ضبطه و صَحَّحَهُ الأستاذ مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ، ط 5 ، ص 10-111 .

بالوقوف على الأطلال،و يتأسف على فراق الأحبة وهو اِستهلال سار عليه معظم الشعراء ، ثم يتذكر أيامه مع من أحب ، ولا سيما يوم دارة جلجل ، وتقتصر سائر أقسام القصيدة على الوصف فيصف الليل و الوادي المقفر إلا من عواء الذئب ، كما يصف الفرس في سرعة جريه والصيد والبرق والسَيلَ،وتقعُ معلقتهُ في حدود الثمانين بيتاً من الشعر".[1]

وممن سار على مِنوال امرئ القيس طرفة بن العبد في معلقته فيقول:

"لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِاليَدِ

وُقُوْفاًبِهَاصَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ لاتَهْلِكْ أَسىً وتَجَلَّـــــدِ

كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِـــفِ مِنْ دَدِ

عَدولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنِ إبْنِ يَامِنٍ يَجُوْرُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراًوَيَهْتَـــــدِي

يَشُقُّ حُبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَاقَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ بِاليَـــــدِ

وفِي الحَيِ أَحْوَى يُنْفُضُ المُرْدَشَادِنٌ مُظَاهِرُسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ و زَبَرْجَـــــــــدِ"

خَذُولٌ تُرَاعِي رَبْرَبً بِخَمِيْلَةٍ تَنَاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيْرِ و تَرْتَـــــدِي

وتَبْتَسِمُ عَنْ أَلْمَ كَأَنَّ مُنَوَّراً تخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَـــــدِ[2]

"فمُعلقة طرفة من المطولات التي يتجاوز عدد أبياتها المائة ، وقد إهتم بها الأدباء و اللغويون ، وشرحها الزوزني مع سائر المعلقات ، وهي كسائر الشعر الجاهلي ، لا تؤلف وحدة موضوعية بل هي موضوعات متنوعة نظمت في ظروف مختلفة ، فيبدأها بوصف أطلال خولة ، ثم ينتقل إلى وصف

[1] موسوعة الحضارة العربية ، العصر الجاهلي ، بطرس البستاني ، ط 1 ، سنة 2005 ،ص 119-120 .

[2] ديوان طرفة بن العبد البكري،شرحهُ الأديب يوسف الأعلم الشنتمري ،طُبِعَ بمطبع برطوند،مدينة شالون،ص 5-6-7.

ناقته ، فإلى طرق معيشته وكرمه ، ويعمد على عِتاب أقربائه ، وإلى وصف شجاعته ، ويأتي على ذكر الموت في أماكن متفرقة من المعلقة ،و يُعطي بعض الحِكم و الآراء في الحياة و الموت ".[1]

يقول زهير بن أبي سُلْمَى المزَنيُّ في معلقته:

"أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـــــــمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـــتمِ

بِهَاالعِيْنُ وَالأَرْامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَـــمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِعِشْرِينَ حِجَّةً فَلأيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـــمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّـــمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُـــمِ

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عُتَّاقٍ وَكِلَّـــةٍ وِرَادَ حَوَاشِّيها مُشَاكِهَةُ الـــــدَمِ "[2]

*فالشاعر زهير بن أبي سلمى سار على منوال الشعراء الذين سبقوه بالوقوف على الأطلال ،فذكر منازل حبيبته المكناة بأم أوفى دمنة، فهذه الآثار لا تجيبه ، فهو لبعد عهده عنها لم يعرف هذه الديار فلقد تغيرت ، ثم ذكر حارتان إحداهما قريبة من البصرة و الأخرى قريبة من المدينة، ثم شبه رسوم دارها بوشم في المعصم ، ثم يقول بها العين و الأرام أي بها البقر الواسعات العيون الظباء الخالصة

[1] موسوعة الحضارة العربية ، العصر الجاهلي, بطرس البستاني ص123-124

[2] ديون زهير بن أبي سلمى المزني ، شرح يوسف الأعلم الشَّنْتمري ،مطبعة الحَميدية ، المصرية ، ط1 ،ص 2،3،4 .

البياض يمشين بها ، ثم ينهض أولادها ليرضعن من أمهاتها ، فقد رجع بعض مضي عشرين سنة ولم يعرف هذه الآثار إلا بعد مشقة وجهد فهو عرف الحجارة السوداء التي كانت تُنصب عليها القدر ، وكذلك عرف نهيراً كان حول منزل أم أوفى وهذه الأشياء هي التي دلته على أن هذه الدار هي دار أم أوفى فوقف بها فقال لهل محييا وداعيا لها طاب عيشك في صباحك وسلمت ، ثم يقول لخليله : أنظر يا خليلي لترى الأرض العالية من فوق هدا الماء نساء في هوادج على الإبل؟ ثم يضيف بأن مر بهذه الآثار في أشهر الحل وأشهر الحرم"[1].

وخلال دراستنا لبعض الأبيات الأولى لمعلقات امرئ القيس ، وطرفة بن العبد و زهير ابن أبي سلمى نلاحظ بأنهم ساروا على منوال واحد في قصائدهم فإبتدءوا قصائدهم " بسؤال الديار وتكليمها وإستعجامها عن الجواب ، ووصف الديار ووصف بقاياها ، تخريب الديار ، الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها ، حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار ."[2]

"ونرى أن المقدمات جميعا لا تعدو أن تكون ذكريات وضرباً من الحنين إلى الماضي و النزاع إليه، فإن الشعراء دائما يرتدون بأبصارهم و أنظارهم إلى الوراء ، إلى أغلى جزء مضى وإنقضى من حياتهم، يوم أن كانوا في ميعة الصبا وريعان الشباب ، لاهَمَ لَهُم ولا شيء يشغلهم سوى العُكوف على اللهو و المتعة، وهو جزء زاخر بالذكريات ، ذكريات الحب و أيامه الحالية ، تلك الأيام التي قضوها مع لذاتهم من الفتيات الغريرات الفاتنات ، و ذكريات الشباب بما فيه من فتوة و فروسية ، فعلى سبيل المثال في المقدمة الطللية كان الشاعر يقف عند معاهد صاحبته ،فيراها أثارًا داثرة ، ومعالم دراسية ، فقد بدلت من الحياة موتًا ، ومن الحركة سكونًا ، ومن الإنسان حيوانًا لم يبق منها سوى النُؤى و

[1] شرح المعلقات السبع ، الإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن حسين الزوزني ، ص 62 ،63، 64 ، بتصرف .

[2] موسوعة الحضارة العربية ، العصر الجاهلي ، بطرس البستاني ، ص22.

الأثافي و الرماد و الأعواد و الأوتاد، وتتراءى له بإزاء هذا المنظر الموحش مواكب حبه ، وذكريات شبابه ، فيتألم لضياعها ، ويبكي على فقدانها "[1].

نستخلص من خلال دراستنا لشعر الوقوف على الأطلال ، أنه بَزغ وتطور في العصر الجاهلي، فنظم فيه كثير من الشعراء ، لكن هذا الشعر لم يقتصر على عصر واحد بل تعدى ذلك إلى العصر الإسلامي و العصر الأموي ،إلى أن وصل إلى العصر العباسي ، هكذا ظل الشعر الطللي حيًا في الشعر العربي خلال مختلف العصور، لكن الشعر الطللي تطور في العصور الأخرى تطوراً مُغايرًا عما أَلِفْنَاهُ في العصر الجاهلي ، فهناك كثير من الشعراء صرفوا النظر عن المقدمة الطللية التي كان لا بد لكل شاعر أن يبدأ قصائده بها، فنظموا قصائد في الغزل وفي الفخر و الهجاء و الخمر ، نظرا لِاختلاف الحياة الأدبية من عصر إلى آخر ، وكذلك إلى اِختلاف طرائق تفكير الناس ، وبذلك تطورت أغراض الشعر المعروفة إلى أغراض أخرى ، ولعل أكثر العصور التي طرأ عليها هذا التغيير هو العصر العباسي ، ولعل زعيم هذا المذهب هو الشاعر أبو نواس ،فهو الذي برز في هذا العصر على غرار كثير من الشعراء ، وهو الذي ثار عل المقدمة الطللية واِستبدلها بالمقدمة الخمرية ، وأول شيء يتبادرُ إلى أذهاننا من هو هذا الشاعر ؟ وماهي الأسباب والدوافع التي جعلته يَثُوُر على هذه المقدمة ؟ وماذا نقصد بالمقدمة الخمرية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا الطرح.

[1] مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ،د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ص228-229 .

الفصل الأول: نبذة عن حياة الشاعر أبي نواس

- المبحث الأوّل: مولده ونشأته.
- المبحث الثاني: آثاره.
- المبحث الثالث: رأي النقاد فيه.

"تُعتبرُ شخصية أبي نواس من أشهر الشخصيات في الفترة العباسية ،لما أحاط بها من أطوار، أخبار وقصص ضرب بعضها في آفاق الخيال بحيث جعلت من صاحبها شخصية أسْطورية"[1]

"لقد كان أبو نواس ظاهرة مثيرة غير عابئ بمجتمعه خُلقا ، أو سُلوكًا ، أو دينا ،أو تقليدا ،ولم يحفلْ بأية قيمة متوارثة، و لا بأي أسلوب سَوِي من أساليب الحياة الاِجتماعية التي قد يَشُد أفراد من المجتمع عن بعضها و لكنهم لا ينكرونها جميعا و لا يطرحونها جملة وراء ظهرهم"[2].

"إن أبا نواس شاعر مجيدٌ ما في ذلك شك، و لكن شهرته لم تنجم عن كونه شاعرا فريدا، بل ذاعتْ وعاشت لغرابةِ شخصيةِ صاحبها و سلوكه. فمن هو أبو نواس ؟ وأين ولد؟ و كيف نشأ؟ وماذا حصل من علم؟"[3].

"إنه الحسن بن هانئ بن الصباح مولى الجراح الحكمي وكنيته أبو علي ، وشهرته أبو نواس ، أطلقها عليه وهو صبي رجل من جيرانه بالبصرة لخصلة من الشعر كانت تنداح مهتزة على مقدمة رأسه ،وأما هانئ أبوه فقد كان من جند مروان بن محمد المقيمين بالأهواز، ومن ثم فإن الرأي الذي يقول بأن أبا نواس ولد بالأهواز أقرب إلى الصحة من ذلك الذي يقول أنه ولد بالبصرة ، فأبو نواس و لد بالأهواز حوالي سنة 146هـ على أرجح الروايات ، ومن الألقاب التي لحقت بأبي نواس لقب الحكمي نسبة إلى الجراح الحكمي مولى جده"[4].

"....مات أبوه وهو طفل ، فاِنتقلت به أمه إلى البصرة ولهُ من العمر سنتان ، فنشأ هناك ، ولما شَبَ سَلمته إلى عطار يبري عود البخور ، ولكن نفسهُ ما كانت ترضى هده الصنعة ، وبها نزوعٌ شديد إلى الأدب ، فكان لا يفتر عن مخالطة أهل المسجد و الأدباء الجَّان، و أخد يتردُ على باب

[1] الشعر و الشعراء في العصر العباسي ،د.مصطفى الشكعة، دار النشر : دار العلم للملايين ، ط 06-سنة 1986م ، رقم الكتاب 572.ص271.
[2] المرجع نفسه ،ص 271 .
[3] المرجع نفسه، ص271.
[4] المرجع نفسه ،ص272.

أبي عمر و بن العلاء ، وكان الرواة والشعراء يجتمعون عنده فإتصل بهم ،وهو في العقد الأول من عمره ، فإكتسب منهم أدباً وعلمًا ، ولكنهم أضروا بأخلاقه ، فتهتك صبيًا .

ولم يكن له من بسطة العيش ما يَقِيه الحاجة فيصُونُ ماء وجهه ، فكان أصحاب المجون إذا أرادوا الخروج إلى زهة ، إستأجروهُ بدينار ، فيحمل لهم أدواتهم و يبقى معهم حتى يعودوا ، و كأن الأقدار أبَتْ إلى أن تُذيقه كأس الأدناس حتى الثمالة ، فأرسلت إليه وإلى ابن الحباب الأسدي الشاعر الكوفي الخليع ، فلَقِيهُ عند العطار يَبْري العُود ، فَافتتنَ به ، وأَعجبه ذكاءه و أدبه ، فحمله إلى الكوفة، وعُنِيَ بتخريجه في الشعر ، فأدَبَهُ بأدبهِ ، و خَلقهُ بأخلاقهِ، و عرفهُ بأصحابه المجان ،فأصبح لا يطيبُ له إلا الاجتماع بهم ، وفيهم أمثال مطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، وحسبك بهم من عصابة السوء"[1].

قدم أبو نواس بغداد وسِنُهُ أرْبتَ على الثلاثين ، ومقاليدُ الخِلافة في يدي هارون الرشيد ، فأُتيحَ له أن يتصل به ، فقربه الرشيد و أحبهُ و أنعمَ عليه، وتغاضى عن فسقه وسكره وإستهزائه بأحكام الدين ، وعفا عنهُ مرارًا وأطلقه من سجنهِ ، فقد كان الرشيد شديد الحرص على وقار الخلافة ، شديد الحفاظ على تقاليد الدين ، ولا سيما أمام الرعية ، فلم يَرَ من الحِكمةِ أن يجعل الشاعر الخليع مختصا بقصره، لذلك لم يَحْظَ أبو نواس الخطوة التي تأملها عند الرشيد ، فتفرغ لمصاحبة المجان ، فكانوا يجتمعون على الصراة أو في سوق الكَرَخْ أو في روضة أو في منزل ، فيتذاكرون الشعر ويشربون الخمر، ويستمتعون بأنواع الملذات التي ألفتها أذواقهم ، فما يتركون محرما إلا و إتفقوا على إتيانه غير متورعين ولا مستحيين ، وأشهر أصدقائه الخلعاء في بغداد : داوود بن رزين الواسطي ، والحسين بن الضحاك الأشقر الخليع ، والفضل الرقاشي ، وعمرو الوراق، والحسين الخياط ، وعنان جارية الناطفي، وإسماعيل القراطسي...."[2]

[1] أدباء العرب في الأعصر العباسية "حياتهم، أثارهم، نقد أثارهم بطرس البستاني، ط. جديدة-دار نظير عبود.توزيع دار الجيل-بيروت-ص62-61.
[2] المرجع نفسه ،ص62-63.

"عرف أبو نواس أولاد الخلفاء مند قدومه بغداد وهو شابٌ ، فنادم أولا أولاد المهدي و لازمهم ، فلم يُلق مع أحد من الناس غيرهم ،ثم نادم القاسم بن الرشيد ، ولكنه لم يلبث أن فارقه ، وتقرب من أخيه الأمين ، وكان يومئذ صبيًا يدرس النحو و اللغة على الكسائي ،وزاده اِتصالا بولي العهد ابن الرشيد الكسائي أن يُحضر أبا نواس لينشد الأمين الشعر النادر ، ويعلمهُ الغريب ،فلزمه شاعرنا ولم يفارقهُ ، وراقت الأمين صحبة أبي نواس ، فاتخذهُ نديمًا ، وشاطرهُ اللهو و الُمجون، فاِنحطت أخلاقه في صباه ، وكان اِنغماسه في العبث و الفسوق من الأسباب التي أضاعت ملكه ، ولما بُويعَ بالخلافة بعد أبيه ، جعل الشاعر في بطانته ، فكان أَلْزَمَ له من ظِلِهِ، ولا رَيْبَ أن خلافة الأمين كانت أسعد أيام أبي نواس ، وإن لم يُطل عهدها أكثر من خمس سنوات . وخمس سنوات شيءٌ يذكر في عمر الشاعر المتنعم ، على أنها لم تحل بعض الأحيان من تنغيص إذا كان الخليفة يضطر إلى حبسه على أعين الناس حين يتهم لديه بالكفر و الفجور والمجاهرة بشرب الخمر ، وأحلف عليه بالتشديد يوم أَعصوا صب الشر بينه و بين أخيه المأمون، وكان ذو الرئاستين في خرسان يخطب بمساوئ الأمين، وقد أَعَدَ رجلا يحفظ شعر أبي نواس ، فإذا إنعقد المجلس قام فذكر الأمين وقال :" ومن جلسائه رجل ماجنٌ ، كافر مستهزئٌ ، متهكم فيقول كذا وكذا "، وينشد من قبائح شعره ، ويذكر أهل العراق فيقول:" أهل فسق و فجور ، وخمور وماخور" ويلعنهم من يحضر من أهل خرسان.

كان للأمين عيون في خرسان ، فكتبوا إليه يخبرونه بالأمر، فجزع له و تَوَعد أبا نواس ، وحرم عليه شرب الخمر ، وذكرها في شعره . فكان صاحبنا يتألم من هذا المنع ، فيُطيعُ مكرهًا ، لا خوفا من غضب الأمين و بطشه ، وإنما حُبًا له وحفاظا على سمعته ، وربما مرت به ساعات فما يستطيع عن الخمر صبرًا ، فيشربها غير مُبالٍ ، ويسبُ الأمين ويهزأ به و الأمين يتغاضى عنه ولا يُطيق أن يؤديه ، ورُمي مرة بالثنوية و شهد عليه عدة نفر ، فأمر به الأمين إلى السجن ، فتذمر أبو نواس وشكا به واِستنجد بالمأمون إذ يقول:

"أمَا الأمينُ فَلَسْتُ ارجُوا دَفْعَهُ عَنِي ،فَمَنْ لِي اليَوْمَ بِالْمأْمُونِ"

وكان المأمون يودُّ أن يرى عنده شاعرا كأبي نواس، فلما بلغه اِستنجاده به قال: " والله لئن لحقته لأغْنَيْنَهُ عني لا يؤْملهُ" ،على أن الشاعر لم يشأ أن يترك الأمين مع ما لقي منه في آخر عهده، وكان

من حقه أن يُناصر المأمون لو جارى نزعته الشُعوبية وميلهُ إلى القُرس ،و الشعوبية و الفرس منهم ، يظاهرون المأمون ،ولكنه آثرَ البقاء مع الأمين لأسباب منها : أنهُ كَانَ يُحبهُ وتلذَ لهُ معاشرتهُ ومنادمتهُ، فلا طاقة له بالِابتعاد عنه . ومنها أن له من الدالة عليه مالا يأمل أن ينال مثله عن المأمون و منها أن أهل خرسان شِيعِيُونَ يُشَدِدُونَ في أمر الغفران كأصحاب الإعتزال ،وكان أبو نواس عظيم الإتكال على عفو الله ، ففضل عليهم أهل السنة لأنهم لا يحظرون العفو على مسلم إرتكب الكبيرة ، إذا خرج من الدنيا على غير توبة ، بل يجعلون حكمه عند الله ، فإما أن يغفر له برحمته ، وإما أن يشفع به النبي إذ قال" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" و إما أن يُعذبهُ بمقدار جُرمهِ ثم يدخِلهُ الجنة برحمتهِ ، ولا يجوز أن يخلد في النَّار مع الكفار"[1].

"لما قُتِلَ الأمين وظفر المأمون بالخلافة ، أصاب أبا نواس شيء من الجزع و القنوط ،و تنكر له الدهر فتبرم بالحياة وَسئِمَ ملاذها و غرورها ، و أبَى أن يتقرب من المأمون أو يمدحه ، وكان المأمون قد

جعل مقر الخلافة في خراسان ، ولبث هناك نحوا من ستة سنوات حتى إستب له الأمر في بغداد فاِنتقل إليها . وكان بوسع الشاعر أن يتصل به و يستميله بالمدح ، ولكن اليأس الذي ساوره بعد مقتل الأمين ، جعله يزهد في حياة الدنيا وتراءى له شبح الموت فراعه، و أحس أن قواه تحطمت من كثرة فسوقه ، واِستهتاره ، ففزع إلى ربه يستغفره ، وأقلع عن المجون و شرب الخمر ،و تنسك حتى هلك و هو على أشد ما يكون من الندم ،وكانت وفاته في بغداد وله من العمر نحو أربع وخمسين سنة ، ودفن في مقابر الشونيزي"[2].

[1] المرجع نفسه ،ص64.

[2] المرجع نفسه ،ص66-67.

" رغب أبو نواس في العِلْمِ و الأَدبِ منذُ صِباه، فقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي حتى حذقه. فقال له يعقوب : إذهب فأنت أقرأ أهل البصرة " وجلس إلى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعر ذي الرمة.

واِختلف إلى كثير من العلماء و الأدباء ، وكان والبة بن الحباب أكثر أساتذته تخريجا له ، وجلس في البصرة بعد تبديه إلى أبي عبيدة يأخذ عنه أخبار العرب و أيامها ، وإلى خلف الأحمر يسأله عن الشعر ومعانيه ، وإلى أبي زيد الأنصاري يكتب عنه الغريب من الألفاظ، ثم نظر في بحر سيبويه ، ثم طلب الحديث ، فأخذه عن عبد الواحد بن زياد العبدي ، و يحي القطان ، وأزهر السمان و غيرهم من كبار محدثي البصرة . ولم يتخلف عن أحد منهم حتى برع في كل علم طلبه، فإذا هو راوية للشعر، واسع الرواية، يحفظ الأحاديث بالإسناد، محكم القول، عالم باللغة، مطلع على الحكمة الهندية واليونانية، حتى قال فيه بعض من شاهدوه :" كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر" يريدون بذلك تفوقه في علوم عصره.

قال إسماعيل بن نُوبَخْتَ: " ما رأيت أوسع علمًا من أبي نواس و لا أحفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطْرًا فيه كتاب مشتمل على نحو وغريب لا غير"[1].

" وصف ابن منظور أبا نواس فقال :"كان حسن الوجه ، رقيق اللون، حلو الشمائل ، ناعم الجسم، ، عظيم الرأس ،شَعرهُ منسدلٌ على وجهه وقفاه دائما، و كان ألثغ بالراء يجعلها غِيًنا ، وكان نحيفا و في حلقه بحةٌ لا تفارقه "، وكان إلى ذلك رقيق الطبع ، ظريف النكتة ، خفيف الظل ، شديد السخر و الإستهزاء، ماجنا لا يُبالي ما يقول وما يفعل ، وقد يَتزيأُ بزي الزُهاد ليتوصل إلى فاحشة يرتكبها ، أو معصية يقترفُهَا ، وكان يؤثر المجاهرة بفجوره وسكره ، ويكره التستر و المتسترين ، وصراحتهُ جعلته لا يحفل بأقوال الناس فيه و لا يخجل من التحدث بتعهره ،و كان كريمًا متلافًا لا يذخر للغد ما يكسبه في يومه يقول:

"و اشْرَبُ وَجُدْ بالذي تَحوي يَدَاك لَهَا لا تَذخَر اليَوْمَ شَيئًا خَوْفَ فقرِ غدِ"

[1] المرجع نفسه ،ص69.

وكان يحتقر الأغنياء الذين يستعبدون الناس بأموالهم ، فإذا ضمه وإياهم مجلس تكبر عليهم ، وكان يكره الإلحاح في المسألة ، ويرعى عهد أصحابه فما يغتابهم ، ويريد منهم أن يحفظوا مَغيبهُ"[1].

[1] المرجع نفسه، ص67.

" تَنَاول أبو نواس أَكثر الأغراض الشعرية المعروفة ، وبرز في معالجتها ، و اِستطاع أن يَسْمُو عن غيره في الخمر و المجون ... و كان القدماء يُقبلون على رِوَايَةِ شعره ، ولا سيما الخمري منه .فقال أبو عبيدة : أبو نواس في المحدثين مثل اِمرئ في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفِطن، و رَدَ لهم على المعاني، وأرشدهم إلى طريق الأدب و التصوف في فنونه .وقال ابن عائشة : من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبي نواس ، فليس بتمام الأدب .و قال أبو حاتم السجستاني : كانت المعاني مدفونة حتى آثارها أبونواس . "[1]

" له ديوان شعر مُختلف لِاختلاف جَامعيه ،فإنه عُنِيَ بجمعه رهطٌ من الأدباء منهم أبو بكر الصولي، وعلي ابن حمزه الأصبهاني ، وطُبع غير مرة في الفينا ومصر وبيروت ،و في صدر الطبعة المصرية فصل لجامعه الأصبهاني في منزلة شعر أبي نواس نقده ،وفي هذه المجموعة تتضمن أكثر من ثلاثة عشر ألف بيت ، رتبت على إثني عشر بابًا : فالأول في نقائضه مع الشعراء ، و أخباره معهم و مع القيان ، والثاني في المديح ، و الثالث في المراثى ، و الرابع في العتاب ، و الخامس في الهجاء ، والسادس في الزهد ، و السابع في الطرد ، و الثامن في الخمر ، والتاسع في ما جاء بين الخمر والمجون ، و العاشر في غزل المؤنث ، والحادي عشر في غزل المذكر ، و الثاني عشر في المجون ، وقد أهمل الناشر – مصطفى البابي الحلبيي – ، الباب الأخير ،فلم يثبته في الطبعة لأنه رأى فيه ما يضم الآداب ، ولكننا لا ندري بأي عين نظر إلى الباب التاسع فإن فيه من التعهر ما لا يقل عما ورد في الباب الثاني عشر، وجمع ابن منظور صاحب لسان العرب تاريخ أبي نواس و نوادره و شعره ومجونه في كتاب سماه أخبار أبي نواس ، و قد طبع الجزء الأول منه في مصر سنة 1924 مضبوطا بالشكل ، مشروحا بعض الشرح ، لكن الحكومة المصرية منعت متابعة نشره بما فيه من فحش مضر بالأخلاق ."[2]

[1] موسوعة الحضارة العربية " العصر العباسي " بطرس البستاني ، المركز الثقافي الحديث للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ، ط .01 سنة 2005 م ص 735 .

[2] أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ص 71 .

" وكُتب الأدب حافلة بأخبار أبي نواس ،و أشعاره لشدة إهتمام الناس برواية شعره ، فإنهم كانوا يتفكهون به ، و يؤثرونه على أشعار القدماء ، فسار على الأفواه كل مسير ، فروي له في مصر أشعر لم يعرفها أهل العراق ، و ضاعت له قصائد لم يبقى منها شيء ، أو بقي أو بيتان ،وَنُحِلَ شعره كثيرا لم ينحل مثله أحدٌ ، ذلك أنه سلك طريقا جديدا في الشعر، فإنه أكثر أشعاره في اللهو و المجون ، وكان في عصره طائفة من المجان يذهبون مذهبه ،وليس لهم حظ من الشاعرية و الشهرة مثله ، فأصبح الناس يلحقون به كل شعر في الخمر و المجون لم يعرف صاحبه ، و لم يُعْنَ الرواة بشعره .

و أضيف إليه النوادر والأخبار كما أضيف إليه من الأشعار ، فقد وضع عليه ابن الداية ، وكان مشهورا بصحبته ، روايات لا صحة لها ، و في أخبار أبي نواس لابن منظور المصري نوادر أشبه بحكايات ألف ليلة و ليلة ، مما يدل على أن أهل مصر شُغِفُوا بالشاعر كأهل العراق ، فراحوا يتفننون في اِصطناع الأخبار الغريبة عنه ، فحملوه أحمالا ثقيلة زادت سمعته تشويها و نحن ، و إن كنا لا يحاصرنا ريب في خلا عته و حوادثه المجونية ، لا يسعنا إلا أن نشك في بعض نوادره التي يظهر عليها التفنن وحب التفكهة و الإغراب ،و سنتعمد في درس شعره على المشهور منه الذي لا يشك في نسبته إليه ."[1]

و في ما يأتي سأحاول أن أعرض بعضاً من قصائد أبي نواس في شعر الخمرة ، و الغزل ، والزهد ، والطرد و المدح ، وهده القراءة في شعر أبي نواس لا تَسْتَوْفِيهِ حقه ،لأنه شاعر عظيم وله ديوان كبير يَضُمُ كل قصائده ، وكتب في أغراض كثيرة على غرار التي ذكرتها آنفًا فمثلا كتب في الفخر في أحيان كثيرة و كذلك في الوصف و التوبة و الرثاء لكنه كان غرضا ضعيفا عنده .

[1] المرجع نفسه ص 72 .

أ- أبو نواس شاعر الخمرة :

- أَثنِ عَلى الخَمرِ

"أَثنِ عَلى الخَمرِ بِآلائِها وَسَمِّها أَحسَنَ أَسمائِها

لا تَجعَلِ الماءَ لَها قاهِراً وَلا تُسَلِّطهَا عَلى مائِهـا

كَرخِيَّةٌ،قَد عُتِّقَتْ حَقبَةً حَتّى مَضَى أَكثَرُ أَجْزَائِهَا

فَلَم يَكَدْ يُدرِكُ خَمّارُهَا مِنهَا سِوَى آخِرَ حَوْبَائِهـا

دَارَتْ،فَأَحْيَتْ غَيرَ مَذمُومَةٍ نُفوسَ حَسرَاهَا وَأَنضائِهـاَ

وَالخَمْرُ قَدْ يَشرَبُهَا مَعْشَرٌ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا ،بِأَكفائِها"[1].

- بَادِرِ الكَأْسَ

"بادِرِ الكَأْسَ نهَـاراَ واشْرَبِ الرّاحَ العُقَـــــارَا

وَاسْقِيهَا مِثْلَمَا تَشْـ ـرَبُها كَيْلاً عِيَـــــــارَا

خَنْدرِيساً، تَنْفُحُ المِسْـ ـكَ، وَتَحْكِي الجُلَّنَـــارَاَ

فَإِذَا أَكْثَرْتَ فِيهَا الْـ ـماءَ زادَتْكَ خُمَـــــارَا

فَإمْضِ فِي اللَذَّاتِ قُدْماً وَ اخْلَعَنْ فِيها العِــذَارَا

واجْعَلِ البستانَ بَيْتاً، وَاجْعَلِ القريـــــةَ دارَا"[2].

[1] ديوان أبي نواس ، دار نوبليس ، بيروت ، لبنان، ص09.

[2] المصدر نفسه ،ص484.

بَرَعَ أبو نواس في وصف الخمرة ، وأكثر شعره يتمحور حولها ، فتتبع أحوالها منذ ميلادها كرمة إلى حبة عنب ، إلى معصرة ، فكان أسلوبه في وصف الخمرة يتميزُ بالسهولة والعذوبة، فصورها لنا تصويرًا جميلاً ملموسًا ، فهكذا كان أبو نواس زَعِيمَ الخمرة على الإطلاق.

ب- أبو نواس شاعر الغزل:

- حَصَّلَتْ قَلْبِـي

"جِنـانٌ حَصَّلَتْ قَلْبِـي فَمَـا إِنْ فِيهِ مِنْ بَـــاقِ

لَهَا الثُّلُثَانِ مِنْ قَلْبِـي وَثُلْثَـــــا ثُلْثِهِ البَاقِـي

وَثُلْثَا ثُلْثِ مَا يَبْقَى وَثُلْثُ الثُّلْثِ لِلْسَـاقِـي

فَتَبْقَى أَسْهُمٌ سِـتّ تَجَـــزَّا بَيْنَ عُشَّـــاقِ"[1]

يُعتبر الغزلُ من أكثر الأبواب التي برع فيها أبو نواس ، فتغزل بعدد كثير من النساء لكنه اِفتتنَ وَ وقع في حب معشوقتهِ جِنَّانُ فكتب فيها شعراً كثيرًا ، كما أنه تغزل بالمذكر ، فوقع في عشقِ الغِلمان ففاضت أشعاره بمعاني الحُبِ و الوَلَعِ و في هذا الباب يقول:

- ذَا فَتَى غَزِلٌ

"مَنْ غَـــائبٌ فِي الحُبّ لَمْ يَؤبِ لاَ شيءَ يَرْقبُهُ سِوَى العَـــــطَبِ

مِنْ حُبّ شَاطِرَةٍ رَمَتْ غَرَضاً قَلْبِي ، فَمَنْ ذَا قَـــالَ لَمْ تُصِبِ ؟!

البَدْرُ أَشْبَهُ مَا رَأَيْتُ بِهَـــــا حِينَ اِسْتَوَى ، وَبَدَا مِنَ الحُـجُبِ

وَإِبْنُ الرَّشَا لَمْ يُخْطِهَا شَبَـهًا بِالجِيدِ وَالعَيْنَـــــيْنِ وَاللَّبَـــــبِ

[1] المصدر نفسه ،ص895.

وَإِذَا تَسَرْبَلَ غَيْرَهَا ، اشْتَمَلَتْ وَرْدَ الحَوَاشِي، مُســـبَلَ الذَنَـبِ

فَتَقُولُ طَوْراً : ذَا فَتَى هَتَفَتْ نَفْسُ النَّصِيحِ بِهِ ، فَلَـــمْ يُجِبِ

وُدٌّ لِعُصْبَةِ رِيبَةٍ ، مُجُـــــنٍ أَعدى لِمِـــنْ عَادُوا مِنَ الجَرَبِ"[1]

ت- أبو نواس شاعر الزهد:

- لَبَّيْكَ

"إِلَهَنَا ، مَا أَعْدَلَـــكْ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكْ

لَبَيْكَ،قَدْ لَبَّيْتُ لَكْ

لَبَّيْكَ ، إِنَ الحَمْدَ لَكَ وَالمُلْكَ ، لَا شَرِيكَ لـكْ

مَا خَابَ عَبْدٌ سَألَــكْ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَـــــكْ

لَـــوْلَاكَ يَـــــــارَبّ هَلَكْ

لبيكَ ، إن الحمد لكْ والملكَ ، لا شـريكَ لكْ

كُلُّ نَبِيّ وَمَلَـــــكْ وَكُلُّ مَنْ أَهَـــــلَّ لكْ

وَكُلُّ عَبْدٍ سَأَلَـــــكْ سَبَّحَ، أَوْ لَبَّى فَلَـــكْ"[2]

- لَمَا جَفَانِي

لَمّا جَفَانِي الحَبِيبُ، وَامْتَنَعَتْ عَنّي الرّسَالَاتُ مِنْهُ وَالخَبَـرُ

اِشْتَدَّ شَوْقِي ، فَكَادَ يَقْتُلُنِي ذِكْرُ حَبِيبِي، وَالهَمُّ وَالفِكَـرُ

[1] المصدر نفسه، ص141

[2] المصدر نفسه ،ص972.

دَعَوْتُ إِبْلَيسَ، ثُمَّ قُلْتُ لهُ فِي خُلْوَةٍ، وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِـــرُ :

أَمَا تَرَى كَيْفَ قَدْ بُلِيتُ ، وَقَدْ أَقْرَحَ جَفْنِي البُكَاءُ وَالسَّهـرُ

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُلْقِ لِي المَوَدَّةَ فِي صَدْرِ حبيبي، وَأَنْتَ مُقْتَـــدِرُ

لاَ قُلْتُ شِعْراً، وَلَا سَمِعْتُ غِناً وَلَا جَرَى فِي مَفَاصِلِي السَّكَرُ"[1]

عُرِفَ عن أبي نواس بأنه شاعر الخمرة و المجون ، وإرتكب عدة معاصي و آثام في شبابه ، إلا أنه يُقَالُ ، بأنه تاب ،وحَسُنَتْ تَوبتهُ قبل وفاته ، لذلك أنتج لنا قصائد زُهدية تبين ندمهُ وصِدقهُ في تَوبتهِ.

[1] المصدرنفسه ص 569

د-أبو نواس شاعر الطرد:

- أَنْعَتُ كَلْبًا

أَنْعَتُ كَلْبًا أَهْلُهُ مِنْ كَدِهِ قَدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُم بِجدِّهِ

وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ يَظَلُّ مَوْلاَهُ لَهُ كَعَبـــــــدِهِ

يَبِيتُ أَدْنَى صَاحِبٍ مِنْ مَهْدِهِ وَإِن عَرِي جَلَّلَهُ بِبُـــــرْدِهِ

ذا غُرَّةٍ ، مُحَدَّلاً بِزَنْدِهِ تَلَذُّ مِنْهُ العَيْنُ حَسْنَ قَـدِّهِ

تَأْخِيرُ شِدْقَيهِ وَطُولَ خَدِّهِ تَلَقَى الظِبَاءُ عَنَتاً مِنْ طَرْدِهِ

يَشْرَبُ كَأْسَ شَدَّها بِشَدِّهِ يَصِيدُهَا عِشْرِينَ فِي مُرْقَدِّهِ"[1]

- أَنْعَتُ دِيكًا

"أَنْعَتُ دِيكاً من دُيوكِ الهِنْــدِ ، كَرِيمَ عَمَّ وَ كَرِيمَ جَـــــــــدَّ !

لِنِسْبَةٍ لَيْسَـــــــــتْ إِلَى مَعَدَّ، وَلاَ قُضَاعِيَّ وَ لَا فِـــــي الأَزْدِ

مُفَتَّحِ الرِّيشِ ، شَدِيدِ الزَّنْـــدِ، ضَخْمِ المَخَالِيبِ، عَظِيمِ العَضْـدِ

حَتَى إِذَا الدِّيكُ اِرْتَأَى مِنْ بَعْدِ، وَ نَجْمَهُ فِي النَّحْسِ لَا فِي السَعْدِ

رَأَيْتُهُ كَالفَارِسِ الْمُعَـــــــــدَّ، يَخْطُرُ خَطْراً مِثْلَ خَطْرِ الأُسْـــــدِ

يَقُشّهُ بِالكَدّ بَعْـــــــدَ الكَدَّ، وَتَعَبٍ مُوَصَّـــــــــــــلٍ بِجَهْدِ

حَتَى تَرَى الدِّيكَ لَهُ كَـــــالقِدَّ، مُفُكَّراً يعظمُهُ بالسّـَــــــــــــجْدِ"[2]

يَالَكَ مِنْ دِيك رُبِي فِي الَمَهْدِ

[1] المصدر نفسه ،ص443.

[2] المصدر نفسه ،ص444.

طَردياتُ أبي نواس تصفُ لنا حدثا كلاميا يدورُ موضوعه حول الصيد ، فكانّ يصف لنا كل ما يَتَسَلَىّ به أهل الثراءِ ، من صيد الغزلان و غيرها ، فكونت لنّا صورة جميلة للبيئة التي كان يعيش فيها، و في هذه الطرديات يَتَجَلَى مَرحهُ و ترفهُ.

هـ-أبو نواس شاعر المدح :

- مدح أبو نواس العباس بن عبيد الله ابن أبي جعفر بقصيدة عنوانها **الديك الصدوح** يقول:

"غَرَّدَ الدّيكُ الصَّدُوحُ فَاسْقِنِي! طَّابَ الصَّبُوحُ

وَاسْقِنِي حَـــتَّى تَـرَانِي حَسَنًا عِنْـــدِي القَبِيحُ

قَهْوَةٌ تَذْكُرُ نُوحـــــاً حِينَ شَادَ الفُلْكَ نُـــوحُ

نَحْنُ نُخْفِيهَا ،وَيَـــأْبَى طِيبُ رِيحٍ ، فَتَـــــفُوحُ

فَكَأَنَّ القَوْمَ نُـــــهْبَى، بَيْنَهُمْ مِسْكٌ ذَبِيـــــحٌ

أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ العَـبَّـ ـاسِ أَغْـــــدُو وَ أَرُوحُ

هَاشِمِيّ، عَبْـــــدَلِيَّ، عِنْـــــدَهُ يَغْلُو المَدِيحُ

عَلَمُ الجُودِ ، كِتَـــابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَلُـــــــوحُ

كُلُّ جُـــودٍ يَا أَمِيرِي، مَا خَلاَ جُـــودَكَ، رِيحُ

إِنَّمَا أَنْتَ عَـــــطَايَا أَبَداً لَا تَسْتَرِيـــــــحُ"[1]

- مدح الخليفة هارون الرشيد:

يبدأ الشاعر أبو نواس قصيدته التي عنوانها **طال بُكائي** بالوقوف على الأطلال ، ثم ينتقل بعدها إلى وصف الخمرة ، حتى ينتهي إلى الغرض الأصلي من القصيدة فيشرع في مدح الخليفة فيقول:

[1] المصدر نفسه ص 315

"تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمُورَ بِعِـــــلْمِهِ وَ فَضَّلَ هَارُوناً عَلَى الخُلَفَاءِ

نَعِيشُ بِخَيْرٍ مَا اِنْطَوَيْنَا عَلَى التَّقَى ، وَ مَا سَاسَ دُنْيَانَا أَبُو الأُمَنَاءِ

إِمَامٌ يَخَافُ اللهَ، حَتَّى كَـــــــأَنَّهُ يُؤَمِّلُ رُؤْياهُ صَبَاحَ مَسَـــــاءِ

أَشَمُّ، طَوَالُ السَّاعِدَينِ، كَأَنَّـــــمَا يُنَاطُ نِجَاداَ سَيْفِهِ بِلـــــــوَاءِ"[1]

لأبي نواس عدة قصائد في شعر المدح ، فقد مدح عدة أشخاص ممن عاصرهم على غرار العباس ، الرشيد ، الفضل بن الربيع ، الخصيب .... إلا أننا نلتمس في كثير من الأحيان عدم صدقه لأنه كان يطمح منهم الخير.

[1] المصدر نفسه ،ص 35.

طَرحتْ شخصية أبي نواس الفذّة ، الكثير من التساؤلات بين الدارسين و النقاد من قدامى و محَدثين ، و أثارتْ حوله الكثير من الجدل ، فإنقسموا إلى قسمين: محب ومعجب، وكاره و ساخطٍ ، و لإعطاء الرأي حول هذه الشخصية لابد لأي ناقدٍ أن يكون مُلماً بحياة أبي نواس و مطلعاً على كل آثاره إطلاعا شاملاً وجامعًا ، لأنّ أبا نواس عبقريُ زمانهِ ، ولأنهُ عَلَمٌ من أعلام الشعر في القرن الثاني للهجرة ، " إنّ ما قيل عن أبي نواس عبر هذه القرون ، وما كِيل إليه من إتهامات ، و ما نُسب إليه من أخبار ، و ممارسات و سلوك شاذ، دَعا شخصيتّهُ إلى أن تأخذ طابعًا أسطوريًا يتناقل النّاس سيرتها ، و يتندرون بأخبارها ، يدّعونا إلى التحفظ الكبير في تقبل ما عُرف عن هذه الشخصية من عبثٍ ، و إستهتار ومجون ، وتُقبلُ ما نُسب إليه، و إنّ من يتابع أخبار أبي نواس ، يقف على التناقض الكبير بين هذه الأخبار ، وبين ما تنطوي عليه شخصيّة أبي نواس من تميز ونضج ، كما يقف على مدى المبالغات التي أحيطت بها سيرتهُ وأخبارهُ ،إلا أنّهُ بالمقدار الذي تُثيرهُ فِينا هذه الأخبار، نرى أنّ لابد من التحفّظ الكبير إزاء قبولها أو رفضها "[1].

و لإعطاء الرأي حول أبي نواس لا بد للنقاد من الإلمام بأخباره وحياته ، و لا بُد لهم من إيفاء هذا الشاعر حقهُ ، و في ما يأتي سوف نعرض رأي بعض النقاد فيه :

"تدُلُ الروايات التي حملتها إلينا كتب الأدب و النقد على أنّ أبا نواس لم يكن هدفا للطعن ، بل على العكس من ذلك ، نجد أنهم كثيرًا ما كانوا يُشِيدون بعلمه و ثقافته اللُغوية، و متانة أسلوبه ، من ذلك ما سمعناهُ من حديث ابن قُتيبة عنه ، و ما قالهُ أبو هِفان من أنه كان آدَبَ النّاس ،و أعرفهم بكلِّ شعرٍ، كذلك أشاد الأصمعي بعلمه و أدبه و شاعريته أمام الفضل البرمكي ،و إلى جانب هذا الحديث العام عن علمه وأدبه ، نجدهم يشيرون بصفة خاصة إلى حِفظهِ للكثير من الشعر ، فيُقال أنه كان يحفظ دواوين ستين إمرأة من العرب ، فضلاً عما يحفظ من أشعار الرجال ، و إنهُ كان أحفظ وجوه ثقافته التي لم تكن قاصرة على

[1] أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، أحلام الزعيم، دار العودة بيروت، ط1 سنة 1981، ص12.

الشعر أو الأدب عامّة ، وقد عكف بصفة خاصة على اللغويين أمثال :خلف الأحمر ،و أبي زيد الأنصاري ، و أبي عبيدة معمر بن المثنى ، كما نظر في نحو سبويه ، من هنا كان تنوية العلماء أمثال الجاحظ و إبراهيم بن ساير النظام ، وأبي هِفان و أبي عمرو الشّيباني ، و ابن السكيت ، بعلمه باللغة و بإحكامه لقوله ، بل صرّح بعضهم بأنه كان يُستشهدُ بشعرهِ ، كلُ ذلك الثقافة ، و ذلك الإلمام الواسع بعلومِ اللغة و الشعر و الرواية و الحفظ والشعر والغريب ، هو الذي جعل عالماً مثل ابن قتيبة يطمئن إلى أنّ المواطن التي أُخذ فيها اَلَحْنُ على أبي نواس إنما يُمكن الِاحتجاجُ لها ، بما يوجد في كلام العرب و الشعر المتقد مما يشبهها، هذا التفوق البارز في علو اللغة ، و أثره في شعره ، لاحظهُ الكثيرُون من المتحدثين ، فطه إبراهيم يُشيدُ بعلم أبي نواس الفصيح الغزير المتشعب ،و يُعجبُ كيف اِقتصر تجّديده على الديباجة و عند مجرد إدخال البديع ، ومندور نفسه يتساءل عن السّر في عدم ثورة النقاد عليه : " هل ذلك لأّنّ النقد قد نما بعد ... أم كان أبو نواس يجيد اللغة العربية و يَحدقُ الكتابة فيها ، فجاء شعره عربيا أصيلا لم يخرج في شيء عن عمود الشعر ؟ لا ريب أن في كل هذه الأسئلة شيئا من الصحة " ، و بالمثل يشير عبد القادر القط إلى تماسك بناء قصائدهِ في كثير من الأحيان "[1].

فكل من الأصمعي و ابن قتيبة ، و أبو هِفان ، و مندور صاحب كتاب النقد المنهجي، وعبد القادر القط صاحب كتاب حركات التجديد في الشعر العباسي ،أشادُوا بعلمه وثقافته الواسعة ، و سار على منوالهم ابن رشيق ، وابن منظور ، وحمزة الاصفهاني ، والجاحظ ... و سنعرض بعضا من أقوالهم في أبي نواس ، " قال الجاحظ :" و إذ تأملت شعرهُ فضلتهُ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أهل البدو أبداً أشعر ، و أنّ المولديين لا يقاربونهم في شيء ، فإن اِعترض عليك هذا الباب ، فإنك لا تبصر الحق ما دمت مغلوباً ..." وقال

[1] النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي الأول، محاولة لقراءة جديدة ، عبد الحكيم راضي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار شايب ، ط1، ص203-204.

أيضا : " لا أعرف بعد بشار مُولدا أشعر من أبي نواس " تحدث عنه إبن رشيق بأنه كان أَيْسَرَ النّاس شعراً، وما أحد إلا ويميلُ إلى عشرته، ويحسدهُ على قربه من النفوس لظرفه ولطفه ، و هو أشعر المولدين ، و ليس فيهم من يُضارعهُ ، و ذكر الخطيب البغدادي عن الجاحظ أنه قال :" لا أعرف من كلام الشعر كلاما هو أوقع ، و لا أحسن من كلام أبي نواس "، ونقل الجاحظ عن النظام أنه قال :" كأن هذا الفتى جمع له الكلام ، فاِختار أحسنه" ، علينا أن نقف عند كلمة الفتى ، فهي تشير إلى أنّ النظام كان أكبر سنًا من النواسي ، و أن أبا نواس عَرَفَهُ وهو فتى ، و هذا مخالف لتاريخ ، إلا إذا حملنا معنى كلمة فتى على مُؤداها من البراعة ، و قال ابن منظور : "كان أبو نواس عالما باللغة ، راويًا للحديث و الأخبار ، أخد اللغة عن الأعراب ، وروى الحديث عن العلماء ، و خرج إلى البادية فأقام فيها سنة " ، و يردد الجاحظ قوله فيه : " ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة ، مع حلاوة ،و مُجانبة الِاستكراه "، وحدث علي ابن حرب قال :" و كان أبو نواس آدب النّاس وأعرفهم بكل شعر،وكان مطبوعًا لا يستقصي و لا يحلل شعرهُ ، ولايقوم عليه ،و يقوله على السُكر كثيرا " ، فشعرهُ متفاوت ، لذلك يوجد فيه ما هو في الثريا جودة و حسنًا وقوة ، و ماهو في الحضيض ضعفا و ركاكةً ، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خليعا ماجناً ، و فتى شاطراً و هو في جميع ذلك حلو ظريف ، و كان يسحر الناس لظرفه ، وحلاوته و كثرة ملحهِ ،و كان أسخى الناس لا يحفظ مالهُ و لا يمسكه ، و كان شديد التعصب لقحطان على عدنان و لهُ فيهم أشعار كثيرةٌ ،يمدحهم و يهجوا أعداءهم ، و كان يتهم برأي الخوارج "[1].

كل هؤلاء النقاد أجمعوا على أن أبا نواس شاعر زمانه، وأنه كان من كبار العلم ،و الأدب في عصره، لأنهُ عُرف بعلمه ومعرفته و حكمته الواسعة، "فقد كان لطيفا، ظريفا، حلو المعشر، و ظرفه كان من أهم ما تتميز به شخصيته، لذا فقد كثرت طرائفه و نوادره، وحتى

[1] أبو نواس بين التخطي والِالتزام، د. علي شلق، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط1، سنة 1964، ص595-596-597 بتصرف.

شعره الجاد فقد خلطه بالعبث و بالهزل، ولعل اِتجاهه هذا إلى الهزل و الدعابة، إلى جانب ما تتمتع به من جرأة وحرية في قول ما يرد على خاطره، قد جعل الكثيرين ينسبون إليه من النوادر والحكايا و السلوك الماجن و الشعر المبتذل ما لم يمت إليه بصلة... ولهذا نرى الكثير من الشعر الذي لا يحمل خصائص أبي نواس، مبثوثا في ديوانه، و قد أكدت الروايات ميله إلى الظرف، ومما قيل عنه في هذا المجال: «تفرغ أبو نواس للنوادر و المِلَحْ فحفظ منها شيئا كثيرًا» وقيل: «كان خفيف الروح ظريفا» وهذا برأينا ما أعده لتكثر مداعباته و مُطَيَابَاتُهُ ليكون نديما للخلفاء و الوزراء وسميرا لهم..."[1].

و كان أبو عمرو الشيباني يقول: «لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لِاحتججنا بشعره»، وكان كثير من أئمة اللغة و الفقهاء و المتحدثين و المتكلمين يعجبون بأبي نواس، ولا يكرهون منه إلا هذا الرفث والمجون، ذلك لأن مقامهم وصناعتهم كانت تضطرهم إلى هذا التحفظ، فأما الأدباء و الشعراء فكانوا يعجبون بأبي نواس اِعجابا لاحد له، لا يصرفهم عنه أنه آثر السهل على الغريب، أو الهزل على الجّد، وربما رغبهم ذلك في شعره، وحبب إليهم سيرته»[2].

"وتحدث حمزة الأصفهاني، جامع ديوانه فقال: «إنّ هذا الرجل مع اِفتتانه في تعاطي القريض، وتأتيه لحسن القول مع المذيع الفاخر و النسيب العذب، والغزل الرقيق، وتناول ما اِستصعب على من رام مرامهُ ،وطمع في أن يبلغ اِحسانه، حتى بما لم يأت به أحد قبلهُ، ولا في عصره، ولا من بعده، منتشر الشعر ،لم يُحِطْ الرواة بجُلّ شعره، ولا صدر إلى الناس فيما رَوَوا عنه نسخة صحيحة معتمدة، وقد شد عن النسخ المودعة المجموعة الكثير من شعره، حتى أنّ له بمصر قصائد لا يعرفها أهل العراق، فقد حكى آل نيبخت –وهم الذين كان أبو نواس منقطعا إليهم، ومعاشرا لهم– أنه ذهب من شعر أبو نواس قطعة كبيرة، وذلك لقلة

[1] أبو نواس بين العبث والِاغتراب والتمرد، أحلام الزعيم، ص30.

[2] حديث الاربعاء، طه حسين، دار المعارف، منتدى مكتبة الاسكندرية، ط14، ج2، ص55.

احتفاله به». وحكى عبد السلام بن رغبان الحمصي أنه قال: «دخلت مصر بعد أبي نواس، فوجدت له بها أشعاراً ليست عند أهل العراق» ،ولما عاد المأمون من خراسان إلى بغداد أظهر جزعًا على فقدان أبي نواس، وشغفا بِاستماع أشعاره، وكان يَوَدُّ لو بقي إلى أيامه وقال: «ذهب ظرف الزمان بذهابه، وانحطت درجة القريض بهلاكه، فلعنة الله على من سعى به»[1].

ويُضيف بعض النقاد اِدلائهم بآرائهم في أبي نواس، ومن ذلك قول "كلثوم العتابي لرجل يُناظره في شعر أبي نواس: «لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فُضّل عليه أحد»، وقيل عنه: «لولا ما كان يخلط شعره من الخلاعة لإحتج بشعره في كتاب الله تبارك و تعالى وفي حديث الرسول صلى الله عليه و سلم»، وقيل: «قرأ القرآن على يعقوب الخضرمي إمام القرّاء فحّذقهُ، ورمى إليه يعقوب بخاتمه، وقال له: إذهب فأنت أقرأ أهل البصرة» ،وورد في رواية عن الشافعي أنه قال: «لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه»، ووصف عبد الله بن الجماز أبا نواس فقال: «كان أظرفهم منطقا، وأغزرهم أدبا، وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جوابا، أكثرهم حياءًا، وكان أبيض اللون، جميل الوجه، مليح النعمة و الإشارة، ملتف الأعضاء، بين الطويل و القصير، مسنون الوجه، قائم الأنف، حسن العينين والمضحك، حلو الصورة، لطيف الكف والأطراف، وكان فصيح اللسان، جيد البيان، عذب الألفاظ، حلو الشمائل، كثير النوادر، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب، رواية للأشعار رواية للأخبار"[2].

نستنتج من هذا كله أنّ كل هؤلاء النقاد أشادوا بأبي نواس، كشاعر وفنان، وعالم من علماء عصره، فهو الذي تتلمذ على يد أشهر العلماء، وهو الذي نظم شعرا جميلا، وما ترك غرضا إلا وكتب فيه، وهو الذي دعا إلى اِستبدال المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية، أما بشان هذه الدعوة، "فهي أمرٌ مسلم به في قصائده الخمرية المعروفة، لكن ذلك لم يتسبب في ثورة

[1] أبو نواس بين التخطي والِالتزام، د. علي شلق، ص597-596 بتصرف.

[2] أبو نواس بين العبث والِاغتراب والتمرد، احلام الزعيم، ص28.

النقاد عليه أو على مسلم بن الوليد أو أيٌ من الشعراء الذين هجروا المقدمة الطللية سواء في الجاهلية أو الإسلام، ونحن بهذا لا نُقلل من دعوة أبي نواس –دعوته لا تجديده– فهي في ذاتها عظيمة الأهمية، وحسبه مجرد الرفض لما ظَلَّ –من الوجهة النظرية المعلنة– شيئا مسلما به فيما بعد إلى عصر ابن قتيبة، أعني ضرورة الِافتتاح بوصف الأطلال، حسبه مجرد إعلان المبدأ، وهو في هذا يختلف عن مسلم وغيره ممن غيروا مقدمات قصائدهم في صمت، فأهمية حركة أبي نواس تتمثل في دعوته أكثر مما تتمثل في تطبيقه، ومع ذلك فإنّ مجرد الدعوة ليس أمرا قليل الأهمية، ولا تشير المصادر القديمة إلى وُجود هجوم عنيف على أبي نواس، هناك مآخذ بالطبع، ولكنها مآخذ عادية، بعضها لا يُعتد به مثل تهمة الكفر في الشعر، وبعضها لا يتصل بالشعر كَفَن، وإنّما هو خاص باللّحن و الخطأ في الكلام، كما أخذت عليه صفة الإفراط في عدد من الأبيات، وكذلك الخطأ في الوصف خطأ ناتجا عن الإخلال بمطابقته للموصوف، وبالمثل الخطأ في التشبيه، لتشبيهه الأقوى في الصفة بالأضعف فيها، كذلك أخذ عليه العتابي التمادي في حب البديع وطلبه، كما وصفه إسحاق المَوْصِلِي بأنه: «كثير الخطأ وليس على طريق الشعراء»، ومر بنا وصف ابن الأعرابي لشعره –ضمن أشعار المحدثين– بسرعة زوال الأثر ،و ليس في هذه المآخذ شيء غير عادي ،و إنما سُجِلَ كثيرٌ منها على شعراء آخرين لهم وزنهم عند الجميع، فلم تتسبب في ثورة النقاد عليهم، ولا أدعي عليهم بسببها الخروج عن سُنن الشعراء...»[1].

أما بخصوص مجونه و شربه للخمر، فلقد جاهر بهما: «وكان إعلانه بهذا الشكل السافر من الأسباب الكثيرة التي دعت إلى إدانته، والتشهير به، كما أسهمت إلى حد كبير في تجسيد أخطائه ،وإشاعة العديد من الروايات و الأقاصيص عنه، و التي كان الهدف منها الحَطُّ من شأنه و النيل منه»[2]، فهو الذي وصف الخمرة ووصف كؤوسها، ومجالسها و دعا

[1] النقد العربي و شعر المحدثين في العصر العباسي الأول، محاولة لقراءة جديدة، عبد الحكيم راضي، ص150-151.

[2] أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، أحلام الزعيم، ص28

النّاس إلى معاقرتها، "ولقد أجمع غالبية الذين كتبوا عن أبي نواس أنه كان ماجنًا، خليعًا، فاسقًا، وطاب لكثيرين أن يَتّهموه بالزندقة والكفر والِابتذال وأسرف بعضهم في سرد القصص عن فجوره وإباحيته و شذوذه، حتى غدت شخصيته أقرب ما تكون إلى الأسطورة في أدبنا العربي"[1]، وهناك من قال بأن أبا نواس كان إباحي متهتكٌ "فقد وصفوه بما كان عليه لأنه كان يُقارف المنكرات، ويعلنها ولا يحفل بمداراتها، وهذا يكفي للصدق في وصفه على حقيقته، ولكنه لا يغني شيئا إذا كان المقام مقام دراسة نفسية، ويتمادى في تهتكه غادية التمادي لِعِلَتَيْنِ مُتناقضتين ترجع كل منهما إلى خِلَالْ نفسيته بعيدة من خلال الأخرى في بواطنها و ظواهرها"[2] ،وهو هنا "يبرز مجونه ويدحض افتراءات أعدائه، جاء في مختار الأغاني أن العباس بن محمد كان يتشوق إلى أبي نواس، ويميل إليه، فلما رآه وسمع منه، ورأى ظرفه وكماله أقبل عليه وقال: «يا أبا علي أريد أن أقول لك شيئا فأستحيك وأستحي من نفسي في ترك نُصحك، وقد بلغني أنك مُنْكَبٌ على المعاصي مُستهتر بالقبائح والمجون، فقال النواسي: أيها الأمير: فأما المعاصي فإنني أثق فيها بعفو الله عز وجل وقوله تعالى، فوالله لو أن السندي يقول ما قاله الله تعالى لوثقت به، فكيف بقول رب العالمين عز وجل وهو يقول: ﴿**قُل يَا عبادي الذينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسهمْ لاَ تَقْنَطُوا منْ رَحْمَة الله إنَ الله يَغْفرُ الذُنُوبَ جَميعًا إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَحِيمُ**﴾[3] وأَمَا الَمجُونَ فما كل أحد يُحسن أن يمجن، وإنما المجون ظرف، ولست أبعد فيه من حب الأدب ولا أتجاوز مقداره"[4].

نَستنجُ من قوله أنه يعترف بمجونه، إلا أنه يعرف أن الله غفور رحيم، وأنه مهما أخطأ، وإرتكب المعاصي والذنوب، إلا أنّ الله سيغفر له كل هذه الأمور، وهناك بعض النقاد الذين وصفوا أبة نواس بالشاذ، "ففرضُوا أن الشدود الجنسي شيء واحد يستلزمُ أن يكون الشاذ

[1] المرجع نفسه،ص8.

[2] أبو نواس، عباس محمود العقاد، مؤسسة هندامي للتعليم والثقافة، بالقاهرة، ص23.

[3] سورة الزمر اللآية 53.

[4] أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، أحلام الزعيم، ص30.

منحرفا إلى هوى أبناء جنسه، ثم وجدوا أبا نواس يتغزل بالجواري، كما يتغزل بالغلمان، ووجب أن يُعللوا هذه الغرابة، فعللوها بالصدق في أحد الغزلين و الكذب في الغزل الآخر، ولكنهم إذا رجعوا إلى الحقيقة لم يجدوا علامة من علامات الصدق عندهم ينفرد بها غزل المذكر أو غزل المؤنث، سواءٌ نظروا إلى التعبير عن الشعور، أو نظروا إلى الإجادة الفنية، وهذا على فرض أنّ الإجادة الفنية شرط من شروط الشعور الطبيعي في أهل الفنون و في سائر النّاس، وتصحيح هذا الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى العلل النفسية، كما شرحتها الدراسات الأخيرة، فأصل الخطأ سوء فهم الشذوذ الجنسي الذي إنطوت عليه طبيعة أبي نواس، فلم يكن شذوذه يستلزم الشغف بأبناء جنسه دون غيرهم، و لم يكن جنسه سَوِيًا، غير مشترك حتى يظن أنه يميل إلى جنس واحد، وإنما كان له طبيعة جنسية تَشْتَبِهُ بكلا الجنسين، وتتشكل بهذا الشكل مرة وبذلك الشكل مرة أخرى، على حسب غوايات الطبيعة النرجسية، ومن ثم حبه الفتى، لأنه كالفتاة وحبه الفتاة لأنها كالفتى، ونظرته إلى الرجولة بعين المرأة في بعض الأَحَايِينِ، وإذا إعتبرنا رجحان الغزل بما ينم عليه من حرارة الشعور، فربما توافقت الآراء على أنّ غزله في جنان أنم على حرارة الشعور من سائر غزله، فإن لم تتوافق الآراء على ذلك فلا نعرف قصيدة في غزل المذكر يحسبها النقاد راجحة بحرارة الشعور على سائر القصائد الغزلية"[1].

خِتام القول مهما تضاربت الآراء والِاختلافات، حول شخصية أبي نواس أو حول شعره، فإنّ الدارسين والنقاد يتفقون على أنه كان عبقريًا من عباقرة عصره، فهم يُقِرون بحقيقة فَنِهِ وجوهره، فهو الذي أبدع لنا شعرًا جميلاً و عذبًا لا سيّما في خمرياته التي عُرف بها، والتي تُظهر قدرًا هائلا من الخواطر والمعاني الأصلية، فالعام والخاص يشهد له بفضله، وقدرته، ونبوغه وتميزه.

[1] أبو نواس، عباس محمود العقاد، ص123.

الفصل الثاني: الحياة السّياسية والاجتماعية والفكرية في عهد أبي نواس

- المبحث الأوّل: الحياة السّياسية.
- المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.
- المبحث الثالث: الحياة الفكرية.

تُعَدُّ الثّورة العبّاسية من الثّورات التي غيّرت مسيرة التّاريخ الإسلامي، فكرياً، و سياسياً، و ثقافياً، و قد عملت هذه الثّورة على القضاء على الأمويّين بمساعدة العنصر الفارسي، و كذلك بمساعدة بعض العوامل الدّاخلية، مثل ابن الزّبير، و الخوارج، و الشّيعة، و ابن الأشعث، و يزيد بن الملهب، التي أضعفت من قوّة الأمويين.

«و تذكر كتب التّاريخ والأدب أنّ العبّاسيين مضُوا يَفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً ذريعاً، يُريدون أن يستأصلوهم من الأرض اِستئصالاً، حتّى يتّخذ ذلك شكل إحتفالات دامية، و كان أوّل من بدأها عبد الله بن علي، إذ دعا في أبا فطرس نحو ثمانين منهم إلى وليمة، و لم يكادوا يجتمعون لها، حتّى اِنبري بعض الشعراء يُحرضونهُ على الفتك بهم جميعاً أنْ يُضربوا بالعمد حتى يُلقوا حتفهم نكالاً لهم و للآبائهم، و صنع صنيعهُ بجماعات أخرى، منهم السّفاح و عمّاه داوود و سليمان، وكأنّهم لا يُريدون أن يبقوا على وجه الأرض أحداً منهم، و حتّى موتاهم لم يُفْلتوا من هذا العقاب الصّارم، إذ يُقال أنّه نُبِشت قبور خلفائهم، ما عَدَا قبري معاوية وعمر اِبن العزيز الخليفة الورع، وحُرقت بقايا جُثتهم بالنّار تحريقاً، و كان هذا البطش دافعاً لعبد الرّحمن الدّاخل، حفيد هشام بن عبد الملك، إلّا أن يلوذ بالفرار إلى الأندلس، حيث أسّس بها دولة أموية جديدة، ظلّت نحو ثلاثمائة عام، و على هذا النّحو ظفرت الثّورة العبّاسية بالبيت الأموي، الذي كانت نفوس الرّعية تمتلئ سُخطاً و حفيظة عليه لما أذاقهم من ظلم، و لما حَرَمَهُمْ من الإنصاف و العدل الاجتماعي، و رأى العبّاسيون أن يتّخذوا من العراق موئلاً لخلافتهم، و لم يَلْبث أبو جعفر المنصور أنّ اِختار قرية صغيرة على الضّفة الغربية للدّجلة، لتكون حاضرة الخلافة، و هي بغداد»[1].

إعتنى المنصور ببناء مدينة بغداد عناية بالغة، حتّى أصبحت من أهم مدن العالم العربي، حيث تمتاز بغداد بأهمّيتها الثّقافية التي تتمثّل في وجود عدد كبير من المتاحف و المدارس التّاريخية،والمكتبات و المسارح، كما تشتهر بآثارها الإسلامية المتمثّلة في بقايا أسوار مدينة بغداد، و دار الخلافة، كما بُنيت بها مئات المساجد و القصور الفخمة، فتكاثرت بها التّجارة و الصّناعة، و أقيم بها عدد كبير من الأسواق الخاصّة، مثل سوق الحُلي، و سوق العطّارين، و سوق الورّاقين، ...، فسمّاها أبو جعفر المنصور مدينة المنصور، و جعل لها أربعة أبواب ، و هي باب خُراسان، و باب الشّام، و باب

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل،د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط16، ص 14-15.

الكوفة، و باب البصرة، فإختار لها موقعاً إستراتيجياً على موقع نهر دجلة، فتوافد إليها العلماء، والأدباء من كلّ البقاع ، فزخرت الحياة فيها.

«تعاقب على عرش الدّولة العبّاسية عدد من الخلفاء، و أشهرهم أبي العبّاس السّفاح (132هـ-136هـ)، لم يَدُم حكمه طويلاً إذ سُرعان ما تُوفّي، فخلفه أبو جعفر المنصور (136هـ-157هـ)، فهو الذي وضع قواعد هذه الدّولة، وهو المؤسّس الحقيقي لها، ثمّ تلاه المهدي (157هـ-169هـ)، فإمتدّت نُفوذ الدولة في عهده، و عظُمت حركة الزّندقة ببغداد و العراق، ثمّ جاء موسى الهادي (169هـ-170هـ)، فقتل عددً كبيراً من الزّنادقة، ثمّ تلاه هارون الرّشيد(170هـ-193هـ) [1] ، فوصلت بغداد إلى ذروتها في عهد خلافته، و حفلَت بالعلماء، و المترجمين، و الأطبّاء، و الشّعراء، وإرتبط إسمه برويات ألف ليلة و ليلة، «يقول ابن الطقطاقي: كان الرّشيد من أفاضل الخلفاء، فُصحائهم، و علمائهم، و كرمائهم، و كان يحجّ سنة، و يغزو سنة كذلك، مدّة خلافته إلّا سنين قليلة، و كان يُصلّي في كل يوم مائة ركعة، و حَجَّ ماشياً، و كان إذا حَجَّ حَجَّ معه مائة من الفقهاء و أبنائهم، و لم يُر خليفة أسمح منه بالمال، و كان يُحبّ الشّعر و الشّعراء، و يميل إلى أهل الأدب والفقه»[2].

كانت بغداد مدينة اللّذائذ المعقّدة، التي كان يُنشدها كلّ شاعر، و يتطلّع إليها كل قاصد لغنى أو ترف، و كلّ باحث عن التّمرّد الخلقي و الإجتماعي، و إليها مضى أبو نواس بعد أن أتمّ عمله و إستوفى فنّه، و بَدَا راغباً بصلة الرّشيد، و نيل العطايا و الهبات التي فاتته في زمن المهدي،ولكنه حمل إلى جانب شاعريته ذاته المتمرّدة التي قادته إلى مُواجهة المتاعب في بلاط الخليفة، مع حاشيته ومُقرّبيه يقول:

سَأبْغِي الغِنى، إمَّا نَـدِيـمَ خَلِيفَةٍ ... يُقِمُ سَرَاءً، أو مُخِيفَ سَبِيـلِ

بكُلِّ فَتَى لَايُسْتَطـارُ جَنَـانُـهُ ... إذَا نَوَّهَ الزَّحْفَانِ بِاسْمِ قَتِيـلِ

لِنَخْمُسَ مَالَ اللهِ مِنْ كُلِّ نَاجِرٍ ... وَ ذِي بِطنَةٍ للطّيّبَاتِ أَكُولِ[3]

«حيث يظهر أبو نوّاس طامعًا في الغنى، ساعياً وراء المال يُريد الحصول عليه بأيّ طريقة، فإمّا أن يكون جليس الخليفة، و إمّا أن يكون قاطع الطّريق يعترض طُرق بغداد ليأخُذ مالاً هو في نظره

[1] موسوعة الحضارة العربية، العصر العبّاسي، بطرس البستاني، ط1، 2005م، ص122-123 بتصرّف.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل،د. شوقي ضيف، ص 36.

[3] الدّيوان، ص 976.

حقٌّ له، فهو و إن كان غريباً عن مجتمع بغداد لقادرٌ على مُجاراته، و مُستعدٌّ لإثبات نفسه في كلّ زواياه، و لعلّ هذا ما دفع بعض الباحثين إلى تقسيم حياة أبي نواس في عهد الرّشيد إلى قسمين: حياة رسمية عاشها في بلاط الخلافة نديماً مادحاً يستعين بما يناله من جوائز، و عطايا ليستمتع بها في حياته الثّانية التي عاشها مع المجّان، و الخُلعاء، و المارقين»[1].

و من هنا نستنتج أنّ أبا نوّاس عاش حياة مُترفة، و ماجنة في عهد خلافة هارون الرّشيد، وهذا ما يظهر واضحاً جليّاً في أشعاره، فكتب عن الخمرة و عن مجالسها، و وصف كؤوسها، و تغزّل بالغلمان و الجواري، فأقدم على اِرتكاب جميع المعاصي، فتباهى بها، و دعا إليها دون خوف أو رقيبٍ،فنقل إلينا ما تَعْتريهِ نفسه من مشاعرٍ، و ما تختلجه من أحاسيس صادقة في شعره، الذي يدلّ على أنّه تمتّع بكلّ ملذّات الحياة.

فلم يكن لطمع أبي نوّاس حُدود، فهو كان دائم التّقرّب من أصحاب السّلطة و النّفوذ، فمدح خالد بن برمك الذي ينتمي إلى أسرة البرامكة، «تنتسب هذه الأسرة إلى جدّها برمك، و هو من مجوس بلخ، و كان يخدم النوبهار و هو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ، تُوقد فيه النّيران، فكان برمك و بنوهُ سنداً له، و كان برمك عظيم المقدار عندهم، و لم يعلم هل أسلم أم لا؟ لما جاءت الدّعوة العبّاسية في خراسان، كان خالد بن برمك من أكبر دعاتها، و زعمائها، و كان ذا صفات عالية أهَّلَتْهُ للسّيادة، و رفعت القدر في صدر الدّولة حتّى أصبح أوّل وزراء هارون الرّشيد»[2]، فاِتّخذ أبو نوّاس من مدحه للبرامكة أهدافاً و غايات كان لابدّ له من تحقيقها، فهو كان ميّالاً للمال والشّهرة، لذلك كان يُخالط أصحاب الجَاه، فمدح الشّخصيات التي كانت بارزة في عصرهم، فمدح فيهم مكارمهم، و عطاياهم، و جودهم، و وصف قوّتهم و شجاعتهم، و مدح أبو نواس أيضاً «الفضل بن يحي اِبن خالد، ولد أواخر سنة 148هـ»[3]،« و كان يحي عاقلاً يُحسن السّياسة، وتدبير الحكم، و النّهوض بشؤون الثّقافة، فمضى يَصْبَغُ نُظُمَ الدّولة السّياسية، و الإدارية بالصّبغة السّاسانية،كما مَضَى يُعْنَى بشؤون الطّب و التّرجمة، فأنشأ المارستان، و اِستدعى له غير طبيب من الهنود و غيرهم، و شجّع

[1] الصّورة الشّعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس، د.ساسين عساف ،المؤسّسة الجامعية للدّراسة و التّوزيع، بيروت،لبنان سنة1982، ص80

[2] محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدّولة العباسية، محمد الخضري بك ،مؤسسة المختار للنّشر و التّوزيع، ط1، 2003، ص 109.

[3] المرجع نفسه، ص 111.

على التّرجمة لكنوز الثّقافات الهندية و اليونانية و الفارسية، و بعث نهضة فكرية واسعة، و فتح أبوابه للشّعراء و المغنّين و أسبغ عليهم هو وإبناه الفضل و جعفر، العطايا الجزيلة»[1].

يقول أبو نواس في مدحه للفضل بن يحي:

"أَميرٌ رَأَيْتُ المَـــالَ في نِعَمَـــــاتِـــهِ ذَلِيلاً مَهِينَ النَّفْسِ بالضَّيْمِ مُوقِنَا

إذَا ضَنَّ رَبُّ المَـــالِ أَعلَنَ جُـــودَهُ بِحيَّ عَلَى مَـــالِ الأَمِيـــرِ و أَذَّنَا

وَ لِلفَضْلِ صَوْلَاتٌ عَلَى صُلْبِ مَالِهِ، تَرَى المَالَ فِيهَا بِالمَهَانَةِ مُذْعِنَـــا

وَ لِلْفَـضْـــلِ حِصْنٌ فِي يَـدَيْهِ مُحَصَّنٌ إذَا لَبِسَ الدِّرْعَ الحَـصِينَةَ و اِكْتَـنَى"[2]

فأغدَقَ الفَضلُ بن يحي على قاصديهِ بالعطايا و الهبات، و الأموال، و من بينهم أبو نوّاس، فاِتّسم البرامكة بالإحسان و السّماحة، و إنصاف المظلومين، و نبذ العنف، و التّعذيب و الظّلم، فساهموا في دعم الحضارة العبّاسية، إلّا أنّ الرشيد نكب بالبرامكة، و يختلف المؤرّخون في الأسباب التي أطاحت بهم، و يُقال بأنّ البرامكة كانوا يُريدون إبطال خلافة الرّشيد، لذلك قتلهم «و ما زال الشّعراء يتناشدون مدائح الفضل و أخيه و أبيه منذ تَسَلم الرّشيد يحي مقاليد الخلافة في سنة 187هـ، حتّى أوّل صفر سنة 187هـ، إذ نكبهم الرّشيد نكبته المشهورة، آمراً بقتل جعفر و صلب أجزاء جسده وَ حبسِ أبيه و أخيه، و ظلّا في الحبس إلى أن ماتا، أمّا يحي فمات في سنة 190هـ، و مات الفضل في سنة 192هـ، و كان طبيعياً أن يبكيهم الشّعراء، و أن يذرفوا عليهم الدّموع مِدرارَاً، بما أغدقوا عليهم من النّعم و الصِّلَاتِ ...»[3].

«و لقد كثر الجدال و الكلام في الأسباب التي حملت الخليفة هارون الرّشيد على الفتك بالبرامكة، و قد اِختلفت كلمة المؤرّخين، و أصحاب السّير، في السّبب الذي دفع الخليفة هارون الرّشيد إلى نكبة البرامكة، فبعضهم يرى أنّ الرّشيد غضب عليهم لوجود علاقات بين جعفر بن يحي و بين أخته العباسة، و بعضهم يقول إنّ اِستبداد البرامكة بالملك، و جمعهم الأموال قدّ اِستمال النّاس إليهم، و أنّ ذلك أَوْغَرَ صدر الرّشيد عليهم و حمله على الإيقاع بهم، أضف إلى ذلك ما أظهره

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل،د.شوقي ضيف ،ص 328.

[2] الديوان، ص 1359.

[3] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل، د.شوقي ضيف ،ص 329 .

البرامكة من الدّالة على الرّشيد، ممّا لا تحمله نفوس الملوك، و سِعَايَةِ أعداء البرامكة، و بخاصة الفضل بن الرّبيع بهم عند الرّشيد»[1].

«و في ذلك يقول ابن خلدون: و إنّما نكب البرامكة ما كان من اِستبدادهم على الدّولة، واِحتجابهم أموال الجِباية، حتّى كان الرّشيد يطلب اليَسِيرَ من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه في سُلطانه، فَعَظُمت آثارهم بَعدَ صَيتُهم و عَمَروا مراتب الدّولة»[2].

و بذلك يكون هارون الرّشيد قد قضى على البرامكة، فمهما تعدّدت الأسباب و الدّوافع التي كانت وراء مقتلهم، إلّا أنّ النّاس حزنوا عليهم حزناً شديداً ،فمدحهم النّاس في أشعارهم، بكلمات صادقة.

و بعد وفاة هارون الرّشيد تعاقب على الحكم أبناءه الثّلاثة، أوّلهم الأمين، ثمّ تلاه المأمون، وأخيراً المعتصم، «إذ يُعتبر عصر المأمون من أزهى عصور الدّولة العبّاسية، فقد كان حُرَّ الفكر شغوفاً بالمعرفة، و لم يكد يستقرّ في بغداد حتّى جعل من مجلسه ندوة علمية كبيرة يتحاور فيها ،و يتناظر الفقهاء، و المتكلّمون ، و العلماء من كلّ صِنف ...»[3]، و بعد وفاته جاء بعده أخوه المعتصم، فاِمتاز عصره بالقوّة، «فتوفّي سنة 228هـ، فخلفه ابنه الواثق، و قد أعاد محنة القول بخلق القرآن جدعة، إذ نراه يكتب إلى الولايات المختلفة بِامتحان الفقهاء، و العنف بمن لا يُقرّون بأنّه مخلوق، ولم تحدث في سنواته الخمس فُتوق كثيرة سوى ما كان من شغب بعض الأعراب في الحجاز، و قد قضى على شغبهم الكبير، و شغّب بعض الأكراد، و سحق شغبهم وَصِيفْ التّركي، و سرعان ما توفّي الواثق سنة 232هـ»[4].

نستنتج من هذا كلّه أنّ الحياة السّياسية في العصر العبّاسي الأوّل كانت مضطربةً، فكثرت الصّراعات على الخلافة بين الإخوة، فتعاقب على عرش الدّولة خُلفاء، فنهظوا بها سياسياً، واِجتماعياً، و ثقافياً، «فبلغت الحظارة درجة عظيمةً في عهد هارون الرّشيد، و وُزرائه البرامكة، و هو العصر الذي عاش فيه أبو نوّاس، و اِسْتَنْفَذَ شبابه و شيخوخته، يُضاف إلى ذلك عامل الحرّية، والِانحلال الخُلقي الذي خطى خطوة جريئة في ظل برامكة الرّشيد، و من جاء بعدهم من وزراء

[1] صراع الحضارات و أثره في الشّعر العربي في العصر العبّاسي الأوّل (القرن الثّاني للهجرة) ،للطّالب أحمد عبد القادر محمود عقل، أطروحة لنيل درجة الماجستير بكلّية الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، سنة 2003، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 39

[3] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل،د. شوقي ضيف ص 39.

[4] المرجع نفسه، ص 43.

الفرس، وإفساحهم المجال للشّعراء بأن يقولوا ما شاءوا، و أن يتفنّنوا فيما يجيئون به ، و لم لا يفعلون ذلك؟ وقد وجدوا من البرامكة التّشجيع و التّسامح، هذه العوامل المجتمعة ،بالإضافة إلى ما حظى به أبو نواس من رحلات بين رُبوُعِ الشّام، و مصر و العراق، خلقت منه أداة قوية للتّجديد في الشّعر، فثار على القديم من مذاهب الشّعراء، و أنكر عليهم تقليدهم القديم في الوقوف على الأطلال وبكاء الدّمن، و كأنّه أراد ملابس الحياة الجديدة، و أن يُجاري ما فيها من مُتعٍ حسّية، فهو لا يبكي الأطلال التي إنتهى زمانها، بينما يُفتتن بالخمرة و مجالسها، و هي المجالس التي لا يكاد ينقطع عنها،...»[1].

هكذا فإن الحياة السّياسية في العصر العبّاسي الأوّل، لها أثر كبير في الحياة العامّة للمجتمع العبّاسي، فإنعكس صَداها على الحياة الإجتماعية و الحياة الفكرية، فنتج عنهما ظُهور اتّجاهات ورغبات جديدة ميّزت العصر العبّاسي بمميّزات خاصّة.

[1] تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل، د.حامد حنفي داود، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 23، 24.

شَهِدَ المجتمع العبّاسي تحوّلاً بارزاً على مستوى الحياة الإجتماعية، فإنعكس ذلك على مظاهر الحياة المختلفة، «نتيجةً لعدّة عوامل عَجَّلَتْ بذلك، أبرزها عامل الإختلاط و التّزاوج بين الشّعوب التي يتشكّل منها المجتمع العبّاسي، و منها رغبة العرب، و قبولهم للحضارة الجديدة، و أساليبها، ومظاهرها المختلفة، و يُعدّ الدّين الإسلامي النّابذ لكلّ النّعرات و الأشكال العُرفية، و لِكل ما من شأنه أن يفرق بين العرب و غيرهم من الأمم و الشّعوب الأخرى، في طليعة هذه العوامل، حيثُ ساعد على مدّ قنوات الإتّصال مع هذه الشّعوب بعضها مع بعض، كما تُعدُّ ظاهرة إمتزاج الحضارات المختلفة، و ما تركته من أثر قوي في تغيير مَجْرَي الحياة الاجتماعية، و بناء الإنسان الجديد في الدّولة الجديدة عقلياً، و فكرياً، و أدبياً، و حضارياً من العوامل التي تركت أثراً واضحاً في مظاهر الثّراء والتّرف و البذخ، عند الطّبقات المحظوظة، و ذوي المكانة الرّفيعة في المجتمع العبّاسي الذي إنقسم إلى عدّة طبقات، أبرزها طبقتان:العامة والخاصة،و هاتان الطّبقتان ظلّتا على طَرَفَيْ نقيض، فالأولى و هي المحرومة من كلّ شيء، ظلّت تتجرّع مرارة الفقر و الحرمان، و كأنّ الدّهر كتب عليها بأن تظل وسيلة و أداة مُسخّرة تُستغلّ من قبل المتحكّمين فيها إستغلالاً بشعاً، أمّا الثّانية فقد بقيت هي المحظوظة، لأنّها صاحبة الأمر و النّهي، و المنع و العطاء، و الفتك و العفو، و لأنّها أيضاً هي المتحكمة في خِزانة الدولة التي تزخرُ بالذهب والفضة الآتيتين من الخارج والجباية، ومن مختلف الأمصار و الأقاليم، و هذه الطّبقة تتكوّن من الخلفاء، و الأمراء، و الولّاة، و القضاة، و قادة الجيش، و غيرهم من المقرّبين إليها كالعلماء، و الأطبّاء، و الشّعراء، و الفنّانين».[1]

«و كانت خزائن الدّولة هي المعِيَن الغَدق الذي هيّأ لكلّ هذا التّرف، حيث كانت تُحمل إليها حمول الذّهب و الفضّة من أطراف الأرض، حتّى قالوا إنّ المنصور خلّف حين توفّي أربعة عشر مليونا من الدّنانير، و ستّمائة مليون من الدّراهم، و أنّ دَخْلَ بيت المال سنوياً لعهد الرّشيد، كان نحو سبعين مليوناً من الدّنانير، و كانت هذه الأنهار الدّافقة من الأموال تَصُبُّ في حجور الخلفاء، و من يَحُفُ بهم من بيتهم، و من الوزراء، و القوّاد و الولّاة، و الشّعراء، و المغنّين»[2].

فقصد أبو نوّاس بغداد، و مدح هارون الرّشيد بعدّة قصائد، فنال من عنده مكانة مرموقة، وأغدق عليه العطايا و الهبات، و كان أيضاً للبرامكة فضل كبير في حياة أبي نوّاس.

[1] مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العبّاسي الأوّل 132 – 232هـ، د.مصطفى بيطام، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1995، ص 22-21.

[2] تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل،د. شوقي ضيف، ص 45.

«و نتيجة هذا التّقسيم الطّبقي، و التّحكّم في الثروة، و الإستئثار بها من قبل أفراد هذه الطّبقة – الخاصّة – ، التي إنغمس أصحابها في التّرف و البذخ إلى درجة التّنافس و التّسابق فيما بينهم، إلى بناء القصور، و التّأنّق في زخرفتها حتّى غَدَتْ آية من آيات الفن المعماري، و قد كانت هذه القصور تمتاز بفخامة بنائها و اتّساعها، و تَكْتَنِفُهَا حدائق غنّاءةٌ، و أشجارٌ متكاثفةٌ، و تَزْدَانُ بالمناضد الثّمينة، و أنواع الزّهريات الخزفية، و التّربيعات المرصّعة و المذهّبة، و بذلك عظُم شأنها في أعين المؤرّخين، فوصفوها في مؤلّفاتهم، و نالت إعجاب الشّعراء، فَأَفْرَدُوا لها قصائد وصفية، تُعدّ من عيون الشّعر العبّاسي في هذا الغرض، و بالمثل تسابق أفراد هذه الطّبقة إلى التّأنّق و التّقلّب في أنواع شتّى من المظاهر الإجتماعية المتطوّرة، و ألوان الحضارة الجديدة، كأنواع الأطعمة و الأشربة، و ألوان الألبسة، و إقتناء أفخر و أجمل وسائل الزّينة و التجميل، كالآلي المطعّمة بالأحجار الكريمة، و مُختلف المجوهرات، و إلى إقامة ملاهٍ للرّقص، و قاعات و دُورٍ لمجالس الغناء و الطّرب، و حانات للمجون والخلاعة، و عَمَدُوا إلى جَلْبِ العبيد من مختلف الأمصار و الأقطار الدّانية و القاصية، للقيام ببعض الأعمال كزراعة الأرض، أو إستغلالهم في بعض الحِرف اليدوية، أو العمل داخل المنازل و القصور، ونتيجة لكثرة مال هذه الطائفة الذي يُعدّ أساساً للتّرف، كما يُعدّ أساساً للتّفسّخ و الإنحلال، فإنّ مَوْجَةَ الإستهتار و العبث قد أساءت إلى القيم الدّينية و الخُلقية، و بذلك إنتشر الفساد، و طَغَى تيّارُ المجون، و نشُطت حركة الزّنادقة، و إستفحل أمر الشّعوبية، و شاع الإلحاد، و تمّ التّعرّض للكثير من المقدّسات بالنّقص و الإبطال، و الهدم، و التّقويض، وعُدَ ذلك من الأمور التي لم يُؤاخذ عليها أحد، و لم يُحاسب من أجلها إنسان»[1]

و نستنتج من كلّ هذا أنّ الحياة في الدّولة العبّاسية تغيّرت تغيُّراً واسعاً، لا سيما على مستوى الجانب الإجتماعي، فإنتقل النّاس من عِيشَةِ البادية إلى عِيشة التّمدّن و التّحضّر، فشارك الشّعراء والأدباء مشاركةً واسعةً في هذه الحياة الرَّغْدَةِ، لا سيما الشّاعر أبو نواس إذ يُعتبر زعيم الخمرة، فوصفها في أشعاره، و وصف كؤوسها و مجالسها، و كان يحتسي الخمرة حتّى الثّمالة، فصار على منواله جُلُّ النّاس الذين عاصروه، «حتّى أصبح الإدمان ظاهرة عامّة على الرّغم من نهي القرآن الكريم عنه، و الحثّ على إجتنابه إذ يقول عزّ شأنه:

[1] مظاهر المجتمع، و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العبّاسي الأوّل 132 – 232هـ، د.مصطفى بيطام ،ص 22-23.

﴿**إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَ الأَنْصَابُ وَ الأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ العَدَاوَةَ وَ البَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وعَنْ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون**﴾[1]، و كان من أسباب اِنتشارها، و إقبال النّاس عليها أن أدّى اِجتهاد بعض فقهاء العراق إلى إباحة بعض الأنبذة، كنبيذ التّمر و الزّبيب المطبوخ أدنى طبخ، و نبيذ العسل، و البُرّ و التّين، فشرب الخلفاء هذه الأنبذة، و شربها النّاس، و تهالك بعض النّاس على أنواعها المحرّمة بإجماع الفقهاء»[2].

و على الرّغم من شُيوع الخمرة، و اللّهو المجون في العصر العبّاسي الأوّل، فإنّ ذلك لم يمنع الشّعراء من الإتيان بشعر جميل يعكس العديد من المظاهر الِاجتماعية، التي كانت سائدة في هذا العصر، فإلى جانب هذه المظاهر كانت هناك مظاهر اِجتماعية أخرى ذاع صَيْتُهَا، و عمّ اِنتشارها بين النّاس كالغناء و الرّقص، فأصبحت تُقام مجالس لهما، و يَستمتع بهما الكبير و الصّغير، «و كان للغناء في هذا العصر أثر و أَيُّ أَثَرٍ، فقد شُغِلوا به أيُّ شُغل، و كأنّه نعيمهم من دنياهم الذين لا يُؤثرون سواه، لما يبعث في نفوسهم من غَبْطَةٍ و اِبْتِهَاجٍ، و معروفٌ أنّه اِنتقل من الحجاز إلى العراق في أواخر عصر بني أميّة، إذ نرى ابن رامين الكوفي يستقدم مُغنّيات الحجاز، و يُقيم داراً واسعة يقصدها النّاس، و ما تنشأ بغداد و يُطِلُّ عصر المهدي، حتّى تُصبح داراً كبيرة للغناء، فقد جذبت إليها المغنّين و المغنّيات من كُلِّ فَجّ، و نُثِرَت عليهم الأموال نثراً، بل كَالَتْهَا كيلاً، و أوّل من كَالَهَا من الخلفاء المهدي، و إقتدى به الهادي، و خلّفها الرّشيد فجعل للمغنّين مراتب و طبقات ...»[3].

نستنتج من هذا كلّه أنّ قصور الخلافة كانت حافلة بمجالس الغناء، و يُعدّ المنصور و المهدي، و السّفاح، و الرّشيد من أكبر المشجّعين لهذا، فكانت قصورهم تَعُجُّ بأشهر المطربين و المطربات، وكان للرّشيد أكثر من مُغنّ و مُغنّية، و لم تكن هذه تَخْلُوا من ضُرُوبِ اللّهو و المجون، بالإضافة إلى مظهر الغناء و الرّقص، هناك مظاهر أخرى برزت في العصر العبّاسي الأوّل من بينها: وصف الجواري، فَقِيلَ فيهنّ شعر كثيرٌ، فكنّ جميلات يُجِدْنَ الرّقص، و كان لهنّ أثر كبير على الحياة الِاجتماعية في هذا العصر، «فضَرَرُهُنَّ يَكْمُنُ في الفساد الأخلاقي، و تَفَشّي ضروب اللّهو والدّعارة وسط أبناء هذا المجتمع الذي يستحيل أمام هذا اللَّفِيفِ من الجواري الفاتنات السّاحرات أن يَنْجُوا

[1] سورة المائدة، الآيتان 92-93.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل، د.شوقي ضيف، ص 65.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

من شراكهنّ و مصائدهنّ ، لقد كُنَّ أخطر وسيلة عجّلت بتفشّي تيار المجون، و الغزل الإباحي، بالخصوص في هذا العصر، و من حيث الإفادة فقد كُنَّ أفضل وسيلة لتفجير الطّاقة الشّعرية عند الشّعراء، حيث كُنَّ محلّ عِشقٍ و تغزُّلٍ و تَشْبِيبٍ، كما كُنّ مَثَارَ فِتْنَةٍ، اِستهوت القلوب، و مَالت نحوها العواطف، و بذلك نُطِقَتْ فِيهِنَّ أحسن الأشعار»[1]، فنجد كثراً من الشّعراء، و صفوا الجواري وصفاً جميلاً دقيقاً، و هذا ما حدث مع أبي نواس، «فكان يَهْوَى جارية إسمها "جِبَان"، وهي جارية لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثّقفي، و كانت جميلة و أديبة تعرف الأخبار، و تعرف الأشعار، يُقال: إنّ أبا نوّاس لم يصدق في حبّه إمرأة غيرها»[2] فقال فيها:

«أَبْصَرتُ في بَغدَادَ رُومِيَّهْ تَقْصِرُ عَنْهَا كُلُّ أُمنِيَـــــهْ
قَصَرِيَةُ الطَّرفِ شـــامِيَةُ الـ خَلْوَةِ فِي تَكْهَةِ زَنجِيَّـــــهْ
صُغَدِيّةُ السَّاقَينِ، تُركِيَّةُ الـ سَّاعِدِ، فِي قَّدِ طُخَارِيَـــــهْ
هِنْدِيَّةُ الحَـــاجِبِ نُوبِيَّةُ الـ فَخِدَيْنِ، فِي زَهْوِ عِبَادِيَـــهْ
حِيرِيَّةُ الحُسْنِ كَيانِيَةُ الـ أَردَافِ فِي أَليَةٍ عَـــاجِيَـــــهْ»[3]

فبالإضافة إلى ظاهرة وصف الجواري، برزت ظاهرة أخرى، و هي هواية الصّيد، فكان أصحاب الطّبقات المترفة يخرجون لممارسة هذه الهواية ضمن جماعات، فكان يَتَرَأَّسُ هذه الجماعة قائد أو وَزِيرٌ أو خليفة، و كان الشّاعر الذي يصف ما يجري أثناء الصَّيد، يخرج معهم، لذلك سُمّي بالشّعر الطّردي، و من جُملة الخلفاء الذين عَظُمَ وَلَعُهُمْ بالصّيد، الخليفة المهدي والأمين والمعتصم والواثق،فكان الأغنياء والوزراء من المولعين بظاهرة الصيد،«و في شعر العصر العبّاسي الأوّل أوصاف كثيرة لظاهرة الصّيد، لأنّ الشّعراء أنفسهم كانوا يُشاركون في تلك الرّحلات التي كانت تُنظّمُ من أجل الخروج إلى الصّيد، و يُعتبر أبو نوّاس من أبرز الشّعراء الذين عبّروا عن هذه الظّاهرة، لأنّه وجد فيها مُتعة، فأتقنها و وُلِعَ بها، فإنعكس ذلك الولع بقصائد تُعدُّ من أَجْوَدِ شعره، عرض فيها أنواع الكلاب و الصّقور، و الشّواهين، و أنواع الطّيور و الحيوانات المختلفة، كما ذكر فيها أنواع السّهام و القسي، و كذا سائر ألوان الصّيد، و عوامل الِاصْطِيَادِ، و هو في الغالب يبدأ قصائده التي يصف فيها الصّيد بعبارة أنعت كلباً أو أعددت كلباً، أو قد أغتدي أو لما تبدى، إلى غير ذلك من العبارات التي

[1] مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العبّاسي الأوّل، 132 – 232هـ ،د. مصطفى بيطام ص 70.
[2] ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، ج1، ص 100
[3] الديوان، 694 – 695.

يُسْتَفْتَحُ بها طردياته، التي يُقال بأنّها بلغت تسعاً و تسعين أرجوزة، و أربع قصائد، و ما زاد على ذلك فهو منحول»[1].

نستخلص من هذا كلّه أنّ أبا نوّاس برع في شعر الطّرد، الذي كان مرتبطاً اِرتباطاً وثيقاً بحياة التّرف، و الغني التي ميّزت العصر العبّاسي الأوّل، فأجاد في وصف كلبه السّلوقي، و وصفه بمختلف الصّفات التي تدلّ على أصالته، و سرعته في العدو وراء الفريسة، فجاءت أشعاره في هذا الجانب تعكس الحياة التي عاشها مع الخلفاء.

و من مُميّزات الحياة الاِجتماعية أيضاً في العصر العبّاسي الأوّل، ظهور آفة التّغزّل بالمذكر، فهي آفة تدعوا إلى التّغزّل بالذّكور، و الاِنصراف عن النّساء، و قد تركت هذه الظّاهرة آثاراً سيّئة في المجتمع العبّاسي، فقد ذكر القرآن الكريم هذه الآفة مع قوم سيّدنا لوط، الذين كانوا يُمارسون الفواحش، و يعتدون على النّاس، و يأتون الرّجال دون النّساء، فأرسل الله لهم لوطاً عليه السّلام لهدايتهم، و لعبادة الله وحده لا شريك له، قال عزّ و جل: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَ لاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقّ وَ إِنّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾[2].

و كان أول من اِشتهر بالغزل الفاحش في العصر العبّاسي والبة بن الحباب، «و هو يُصرّح بذلك تصريحاً في غير مُواربة و لا اِستحياء، و يُقال أنّه هو الذي يتحمّل وِزْرَ إفساد أبي نوّاس، بل هو في رأينا الذي يتحمّل وِزْرَ العصر كلّه، و ما شاع فيه من هذا الغزل المقيت، الذي يخنق كرامة الشّباب و الرّجال خنقاً، و ربّما كان من أسباب شيوعه كثرة الغلمان الخصيان في بغداد و غيرها من مدن العراق، و كان منهم من تسقط عنه رجولته حتّى يلبس لبس النّساء، و كان من الجواري من يَلْبَسْنَ لِبْسَ الغلمان لفتاً للشّباب و الرّجال، و يُروى أنّ الأمير حين أفضت إليه الخلافة قدم الخصيان و آثرهم، فشاعت قَالَةُ السّوء فيه، و رأت أمّه زُبيدة دَرءَ تلك القالة أن تبعث إليه بعشرات من الجواري، ألبستهنّ لبس الرّجال، حتّى ينصرف عن الخصيان، فكنّ يختلفن بين يديه، و أبرزهنّ للنّاس، و لم يلبث كثيرون أن جاروه في هذا الصّنيع، فكنّ يستمين بالغُلاَمِيَاتْ، و عمّت هذه البدعة في السّاقيات بالحانات، و لعلّ ذلك هو السّر في أنّ أبا نوّاس كثيراً ما يتحدّث عن بعض الجواري

[1] مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد في العصر العباسي الأوّل 132 – 232هـ، د.مصطفى بيطام، ص 120 – 121.

[2] سورة هود، الآيات، 76 – 77 – 78.

بضمير المذكّر، و من تتمّة هذا التّبادل بين الجواري و الخصيان في الزّي و الهيئة، حينئذٍ كثرة المخَنَّثِينَ بين المغنّين و الضّاربين على الدّفوف، و كانوا يتشبّهون بالنّساء في عاداتهنّ، و ثيابهنّ، و ضَفْرِ شَعْرِهِنَّ، و صبغ أظافرهنّ بالحنّاء»[1].

إنّ القارئ لشعر أبي نواس في هذا الجانب، «يدلّ على شدة تعلّقه بالغلمان، و تفضيله إيّاهم على النّساء، و كرهه و بُغضه لكلّ علاقة زوجية في الحياة، حتّى تلك القائمة عن الغريزة بين فصيلة الحيوان كالنّعاج، و أنّه لا يُراود النّساء على نفسه، و لا يزني معهنّ مُطلقاً، ممّا يُنجيه عذاب الله»[2]، فأبو نواس اِستطاع أن ينقل أوصاف المرأة إلى الغلمان، فتغزّل بهم تغزّلاً فاحشاً يدلّ على مجونه، وفجوره، و فُسقه الذي مَرَدُ هذا الشّذوذ إلى البيئة التي عاش بها، و إلى عصره و مُعاشريه، الذين ما تركوا رذيلة إلّا و قاموا بها.

«و على الرّغم من حدّة تيار المجون و اللّهو، و مختلف المظاهر الإباحية السّائدة في العصر العبّاسي الأوّل، فإنّ النّاس على مختلف طبقاتهم و رُتبهم في السّلم الاِجتماعي، كانوا مولعين أيضا بمظاهر و تظاهرات اِجتماعية أخرى، ذاع صيتها و عمّ انتشارها، كظاهرة المواكب و المحافل، والتّسلية، و الألوان الرّياضية، كسباق الخيل و الخروج للصّيد، و المرح عن طريق الفكاهة، و الاِحتفال بمختلف الأعياد و المواسم كعيدي الفطر و الأضحى، و النيروز و المهراجانات و غيرها من المواسم الأخرى، التي ألهمت الشّعراء في نظم الشّعر و إنشاده»[3]، فأنتجوا لنا شعراً جديداً يختلف عن الشّعر الذي وُجد قبل هذا العصر من حيث الشّكل و المضمون، فشعرهم يدلّ على مختلف المظاهر التي عاشوها، و من بينهم الشّاعر أبو نواس الذي عُرف بخمرياته، و بغزله الفاحش.

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل،د. شوقي صيف، ص 73 – 74.

[2] مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العبّاسي الأوّل، 132 – 232هـ، د.مصطفى بيطام، ص 357.

[3] المرجع نفسه، ص 486.

«لم تكن الحياة الفكرية في العصر العباسي الأوّل أقل أهمية من نواحي الحياة الأخرى، الذي إمتاز بها هذا العصر، و تفتّح فيه ذهن الإنسان العربي الوريث لحضارات و ثقافات الأمم التي إحتكّ بها و غلبها على إثر الإندفاع القوي لعرب الصّحراء، من سكان البوادي و المدن، مع الفتوحات الإسلامية التي أعقبت فجر الإسلام، حيث لم تقتصر رغبتهم في أثناء هذا الإندفاع على نشر الإسلام، و توسيع رقعة الفتوحات فحسب، بل حَمَلُوا معها رغبة الإطّلاع على كلّ ما هو جديد في عالم الفكر و الثّقافة، بمختلف فنونها و تشكيلاتها، كما كانت لهم قَابِلِيَةٌ شديدة لتلقّي العلوم وتحصيلها، و بذلك لم يتردّدوا في تلوين ثقافتهم العربية منذ أواخر العصر الأموي بألوان الثّقافات التي وَجَدُوهَا في البلاد التي وقعت تحت حوزتهم، كالثّقافة الفارسية و اليونانية، و الهندية، و غيرها من الثّقافات التي تُرجمت إلى اللّسان العربي إبّان العصر العبّاسي الأوّل، فالعصور المتعاقبة، و ذلك لتوفّر أكثر من عامل كظاهرة الإختلاط المستمر بين الشّعوب من ناحية،و إشاعة جَوّ من الحرّية والإختلاط في العادات و التّقاليد من ناحية أخرى، ممّا أدّى إلى ظهور نهضة فكرية شاملة، نَضَجَتْ فيها العلوم وإزدهرت الآداب و أثمرت الفنون، و نشطت الدّراسات الطّبية و الفلكية و الفلسفية، و راجت أسواق الأدب، و إتّسعت الحركة الفكرية بمختلف ألوانها، فكان نِتَاجُهَا ظهور عباقرة أفداد خَلَّدَهُم التّاريخ، و وَرَدَتْ الألسن على ذكرهم في المحافل و المجامع، أمثال: الخليل بن أحمد، و سبويه الكيسائي، و الأصمعي، و حماد الرّاوية في اللّغة و الأئمة، أمثال البخاري و أبي حنيفة، و مالك بن أنس و الشّافعي، و ابن حنبل في الفقه، و عمرو بن عبيد، و أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام، وأبي الهذيل العلاف في المناظرات و المحاورات، و الجاحظ و ابن المقفّع، و ابن العميد و الصّاحب ابن عباد في الأدب و الكتابة، و بشار بن بود، و أبي نواس و أبي العتاهية، و مسلم بن الوليد، و أبي تمام، و غيرهم من شعراء هذا العصر»[1].

فأبو نواس عاش في العصر العباسي الأوّل لذلك «كان واسع المعرفة متّصلاً بحياة عصره الفكرية، و في شعره ما يُشعر بإطلاله على آراء الفلاسفة و المتكلّمين، على أنّ أهم ما يُذكر له هنا تَبَحُّرُهُ في العلوم اللّغوية و الإسلامية، حتّى قال الجاحظ: "ما رأيت رجلا أعلم باللّغة من أبي نواس، وأفصح لهجة مع مُجانبة الإستكراه" و قال بعض الرّواة: "كان أقل ما في أبي نواس قول الشّعر، و كان فحلا رواية عالماً"، و قال عن نفسه: "ما قلت الشّعر حتّى رويت لستّين إمرأة من العرب غير

[1] مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العباسي الأوّل (132 – 232هـ)،د. مصطفى بيطام، ص 24-25

الخنساء، فما ظنّك بالرّجال؟ و إنّي لأروي مئة أرجوزة لا تُعرف"، و سوف تزول دهشتنا و إستنكارنا ذلك إذا عرفنا أنّ أساتذته كانوا من مشاهير العلماء و المحدّثين، منهم أبو زيد الأنصاري، و أبو عبيدة ابن المثنّى، و عبد الواحد بن زياد، و أزهر السّمان و يحيى القطّان، و منهم خلف الأحمر، الذي لزمه مدّة غير يسيرة، و لم يكتف بذلك بل قصد بادية بني أسد و أخذ اللّغة عن أعرابها، و قد رَوَى عنه جماعة من أدباء ذلك العصر و علمائه»[1]، لذلك كان الشّاعر أبو نواس مُلمّاً بجميع علوم عصره، لأنّه عَاصَرَ مُختلف العلماء و المشاهير،«و لا شكّ في أنّ إتّصاله بالثّقافتين الفارسية واليونانية، كان أكثر عمقاً، فقد كان فارسي الأصل، و كان يُحسن الفارسية إحساناً بعيدًا جَعَلَهُ يلوك كثيراً من كلماتها في أشعاره، و لا بدّ أنّه نظر فيما ترجمه ابن المقفّع و غيره من آدابها المختلفة، و أيضاً لابدّ أنّه نظر في الفلسفة اليونانية، و ما إتّصل بها من منطق بحكم تَثَقُّفِهِ بعلم الكلام، إذ كان المتكلّم لا يتمكّن في هذا العلم، و لا يجمع أفكاره، حتّى يكون الذي يُحسن من كلام الدّين في وزن الذي يُحسن في كلام الفلسفة، و في خمرياته ما يدلّ دلالة واضحة على أنّه وقف وقوفاً دقيقاً على طقوس المجوس و اليهود، و النّصارى، و عقائدهم، و تفرّغ للنّوادر و المِلح، و حفظ منها شيئاً كثيراً، وتصادف أن يكون خفيف الرّوح ظريفاً، ممّا أعده لتكثر مُطَايباته و مُداعباته، و ليكون سميراً للخلفاء و الوزراء ...»[2].

و لعلّ السّبب في إزدهار النّهضة الفكرية في هذا العصر، «راجع إلى الخلفاء الذين أَوْلَوا إهتماماً كبيراً بالمعرفة و العلم خاصّة المأمون، حيث نجد في عهده إزدهار الدّولة، لأنّه كان عالماً بالعربية، متعمّقاً في العلوم الدّينية و الفلسفية، مشتغلاً بمسائل علم الكلام، و كان يُقيم النّدوات والمجالس، و المناظرات في عصره، و يُشارك فيها بنفسه، و يُصوّر لنا المسعودي مجلساً من مجالس العلم في بلاط المأمون، فيقول: "كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثّلاثاء، فإذا حظر الفقهاء و من يُناظره من سائر أهل المقالات أُدْخِلُوا حجرة مفروشة، و قِيلَ لهم أنزعوا أخفافكم، ثمّ أُحضرت الموائد، و قِيلَ لهم: أَصِيبُوا من الطّعام و الشّراب ،و جَدِّدُوا الوضوء، و من خَفَهُ ضِيقٌ فَلْيَنْزَعْهُ،و من ثَقُلَتْ عليه قلنسوة فليضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخّروا و تطيّبوا، إِسْتَدْنَاهُمْ حتّى دَنوا منه، وناظرهم أحسن المناظرة، و أنصفها و أبعدها من مُناظرة المتجبّرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشّمس، ثمّ تُنصّب الموائد الثّانية فيُطعمون و ينصرفون"، و لم يكن العلم في مجالس الخلفاء فقط، بل كانت المساجد مفتوحة عامرة بحلقات الدّرس، و الجدل، و المناظرة، و دكاكين الورّاقين كانت أشبه بِدُورِ

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العبّاسي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط17، 1989، ص 110-111.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأول،د. شوقي ضيف، ص 223.

الكتب، أو المكتبة، و نظراً لتيسير العلم و المعرفة، فإنّنا نجد أبناء العامّة قد نبغ منهم خلق كثير،«فبشار أبوه كان طيّاناً يضرب الطّوب اللّبّن، و أبو نوّاس كانت أمّه تغزل الصّوف أو تبيع شيئا من عطار النّساء، و أبو العتاهية كان يحمل الجِرَارَ على ظهره يبيعها في الكوفة، و مسلم بن الوليد كان حائكاً، و أبو تمّام كان أبوه عطّاراً أو خمّاراً، و اِشتغل بحياكة الملابس في صغره، فالعلم مُنتشرٌ في كلّ البقاع لا يرُدّ قاصداً له، بذلك أصبح الطّريق مفتوحاً كنبوع أولاد العامّة، و الذي ينبغي أن نُشير إليه هو أنّ العقل العربي في العصر العبّاسي الأوّل أصبح عقلاً علمياً و فلسفياً معاً، و من هنا اِنطلق يخلق علوماً جديدة في أدقّ العلوم كالرّياضيات، و الجبر و الفلك، و الطّب و الكيمياء، أمّا الأدب فقد حَظِيَ بِنَصِيبٍ وافر من الاِهتمام و الرّعاية، و كان لِاستقرار الجو في العصر العبّاسي الأوّل الأثر في ظهور بعض سمات التّجديد فيه، الشّيء الذي ميّز الأدب العبّاسي عن غيره من العصور، و لا غُرُورَ في ذلك لأنّ الخلفاء العبّاسيين عملوا على بسط الأمن و الاِستقرار، و إكرام الأدباء و الشّعراء بصفة خاصّة، ممّا أدّى إلى ظهور شعراء كان لهم أثر كبير في مسيرة الأدب العباسي الذي يُعتبر قمّة في الشّعر دون منافس له في العصور السّابقة، من هنا ظهرت تيارات و اِتّجاهات تُنادي بالتّجديد في القصيدة العربية، و الخروج بها من التّقليد الذي ظلّ يُلازمها ردحاً من الزّمان»[1].

نستنتج من هذا كلّه أنّ للخلفاء دور كبير في اِزدهار الحركة العلمية في ذلك العصر، إذ أغدقوا على العلماء، و الأدباء الذين نوّعوا من معارفهم بالعطايا و الهبات، ففي عهد خلافة المهدي كان العلماء يأتونه من كلّ بلدة لأنّه كان كريماً معهم، «و كذلك من أهم أسباب بلوغ الحركة العلمية غايتها من النّهضة الواسعة اِستخدام الورق، إذ أخذ يعُمُّ منذ مُفتتح هذا العصر، و كانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود و القراطيس المصنوعة بمصر من ورق البُردي، و لم يلبث الفضل بن يحي البرمكي أن أنشأ في عهد الرّشيد مصنعا ببغداد للورق، فَتَفَشَّتْ الكتابة فيه لِخِفَتِهِ و غلبت على الكتابة في الجلود و القراطيس، و كان الإملاء حينئذٍ أعلى مراتب التّعليم، و لكن لم تلبث أن ظهرت المصنّفات الكثيرة، و أُحْتِيجَ معها إلى النّسخ، فاِتّسعت صنعته الوارقة، و هي تحلّ في هذا العصر محلّ الطّباعة في عصرنا الحديث، و قد مضى العلماء حينئذٍ يستفيدون منها، فاِتّخذوا لأنفسهم ورّاقين ينقلون عنهم كتبهم، و يُديعونها في النّاس، مثل: دماذ أبي غسان ورّاق أبي عبيدة، و كان ممّا دفع لرواج الوراقة تنافس الكثيرين على اِقتناء الكتب و اِتّخاذ المكتبات، و قد أقامت الدّولة منذ عصر الرّشيد مكتبة

[1] الإتّجاه التّجديدي و أثره في نهضة الشّعر العباسي الأوّل، دراسة تحليلية نقدية، لطالب أحمد الطّيب خوجلي عبّاس، أطروحة لنيل درجة الدّكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2007.

ضخمة، هي دار الحكمة، و عُنيت فيها أشدّ العناية بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثّقافات الأجنبية، و لا ريب في أنّ هذه المكتبة كانت جامعة كبرى لطلّاب العلم و المعرفة، و قد أخذ كثيرون من الأفراد يعتون بإقتناء المكتبات، و كانوا يُوظّفون فيها بعض الورّاقين للنّسخ، من ذلك مكتبة إسحاق ابن سليمان العبّاسي، و كانت تمتلئ بالكتب و الأسفاط، و الرّقوق، و القماطير،والدّفاتر، و المساطر، و المحابر، و أضخم منها و أعظم مكتبة يحي بن مالك البرمكي، و يُقال إنّه لم يكن في مكتبته كتاب إلّا و له ثلاث نُسَخٍ، و ربّما فات هذه المكتبة عظامة و ضخامة مكتبة الواقدي المؤرّخ المشهور المتوفّي سنة 208هـ، و كانت تشتمل على ستّمائة صندوق مملوء بالكتب، و كان له مملوكان يكتبان له ليلاً و نهاراً، و لم تكن الكتُبُ تُعدّ لهذا التّحصيل السّريع في الفقه وحده، بل كانت تُعدّ لذلك في جميع فروع العلم و المعرفة، فطبيعي أن يُقبل عليها النّاس إقبالاً شديداً لما تجمع لهم في كلّ فنّ و كلّ علم من مادّته الغزيرة المنظّمة و المرتّبة، بل لقد أصبحت الأداة الطّيّعة التي تُسَوِقُ لهم المعرفة و ألوان الثّقافة سوقاً، و هم يَكُبُّونَ على هذه الأداة ، أو هذه الوسيلة السّهلة مُنفقين عليها كلّ ما يستطيعون من أموال»[1].

بالإضافة إلى دور الخلفاء و المكتبات في تطوّر الحركة العلمية في العصر العبّاسي الأوّل، هناك عوامل أخرى ساعدت في تطوّر هذه الحركة، من بينها : حركة التّرجمة التي قام بها الخلفاء و العلماء، فترجموا التراث اليوناني، و الفارسي، و الهندي إلى اللّغة العربية، فنقلوا جميع الكتب سواء كانت في مجال الطّب أو الفلك، أو الرّياضيات، أو الزّراعة، ... إلى العربية، فكان لهذا الإتّصال المثمر بين هذه الثّقافات أثر كبير في إزدهار الحركة العلمية و الأدبية، و تقدّم الحياة الفكرية في هذا العصر، و ليس في هذا شك ،«فقد تغلغلت المعرفة و الثّقافة في جميع الأوساط، حتّى في الأوساط العامّة، وأصبحت غذاءاً لجميع العقول و القلوب، و برزت صفوة من العلماء و الأدباء، كان جمهورها من أبناء هؤلاء العامّة، قادت الحركتين العلمية و الأدبية قيادة خصبة باهرة، إذ إستطاعت أن تسيغ كلّ ما نُقل إلى العربية من ثقافات مُتباينة، و أن تُضيف إليها من عُقولها، و قُلوبها ما دعم حضارتنا العربية دعماً بما أحدثوا من علوم، و بما كتبوا من آثار عقلية رائعة، و آيات شعرية خالدة»[2].

أمّا على صعيد الحياة الدّينية في هذا العصر، فقد كانت حياة معقّدة، «إذ إعتنق الفرس الدّين الإسلامي، و هم لا يزالون حديث العهد به، فأخذوا يَحِنُّونَ إلى عقائدهم القديمة، و يبذرون بُذور

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأوّل،د. شوقي ضيف، ص 103 – 104.
[2] المرجع نفسه ،ص 108-109.

نحلهم و مُعتقداتهم بين ضِعَافْ العُقول، و ضعاف الإيمان من المسلمين، و بسبب ذلك ظهر فريق من زنادقة الفرس نشروا بين العرب مذهب الزّندقة، و العقائد الفارسية، و الماجوسية، المنقولة عن الفرس كالزرادشتية، و المانوية، و المزدكية، و قد عظُم خطر هؤلاء الزّنادقة في عصر الخليفة المهدي، فشدّد عليهم النّكير، و أَثْخَنَ فيهم القتل، و لم يرحم منهم من كان من شُعرائه، أو وزرائه، فقتل منهم بشار بن برد، و عبد الله بن أبي عبيد الله معاوية بن يسار، فإنعكس صدى هذه الحياة المعقّدة على الحياة الفكرية، فتشبّعت نواحي الفكر، و تعقّدت بتشعّب الحياة، و لعبت العناصر الدّخيلة من فرس، و مجوس، و بزنطيين، و يونانيين دوراً خطيراً في إشعال النّهضة الفكرية، و حدث من هذا كلّه لقاح فكري لم يكن عربياً خالصاً و لا أعجمياً خالصاً، و كان لحرّية العقيدة التي دَانَ بها العجم أثرها في إيقاظ هذه الحياة، ذلك أنّه كان من ملاحظة الفرس جماعة يطعنون في الإسلام، و لا يقتنعون بالنّصوص المأخوذة من القرآن و الحديث، و لا يقبلون غير الحجج العقلية، فإنبرى لهم طائفة من العلماء يرُدون حججهم العقلية بمثلها، هذه الجماعة سمّيت بالمعتزلة، و بسبب إشتغالهم بالكلام والجدل سمّوا بعلماء الكلام، و قد ترك هؤلاء أثراً واضحاً في الحياة الفكرية، و أتت هذه الحركة ثمارها في خلافة المأمون حين أباح لنفسه و لعلماء الكلام أن يَأجُروا في كلّ موضوع، و هكذا سنّ هذا الخليفة مبدأ الحرّية الفكرية، كما سنّ مبدأ الحرّية الذّهبية، فكان هو شيعياً، و كان يحي ابن أكثم قاضي قُضاته سُنّياً، و كان وزيره أحمد بن أبي دؤاد مُعتزلياً، الأمر الذي دعا العامّة على رميه بالإلحاد، و الزّندقة حين قال بقول الفلاسفة، كما رموه بالإباحية في الدّين، حين قال بزواج المتعة، كما بلغ المعتزلة بالحرّية الفكرية مبلغاً عظيماً في خلافة المأمون، خاصة حين ذهبوا مذهبه، و قالوا معه إنّ القرآن مخلوق، مُخالفين بذلك مذهب جمهور السّلف الصّالح، الذي يقول بقِدَمِهِ بإعتباره كلام الله، وكلام الله قديم، و هي مسألة إعتزالية تُعتبر من أعظم مباحث علم الكلام، كانت بلاءاً عظيما على علماء السّنة في خلافة المأمون و المعتصم، و الواثق، و كان لأحمد بن حنبل فيها موقف مشهور، وجديرٌ بأن يكون لهذه الحياة الفكرية الصّاخبة صدى يُماثلها في حياة الأدب، و كان لابدّ للأدب أن ينمو و يزدهر ...»[1]

خلاصة القول أنّ الحياة الدّينية في العصر العبّاسي الأول، كانت مضطربة فإرتبط هذا العصر بتيّار المجون، و بتيار الزّهد، فالشّعراء الذي عاشوا في هذا العصر، كانوا منقسمين إلى فريقين، فريقٌ

[1] تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل، د.حامد حنفي داود، ص 08 – 09.

منهم يُعاقرون الخمر، و يرتكبون الآثام و المعاصي، و فرق آخر يدعون النّاس إلى الإيمان بالله، والبُعد عن ملذّات الحياة، و إلى العمل الصّالح لنيل الأجر و الثّواب، فالشّاعر أبو نوّاس له طابع ديني ميّزه عن شُعراء عصره، فَصَعُبَ تَصنيفه من قبل دارسي شعره، فتارة يحمل شعره صفحة التّطرّف و المجون، و تارة يَسْمُوا إلى مراتب الزّهّاد و المتصوّفين، «فقرأ القرآن على يعقوب الخضرمي، الذي أجازهُ بأقرأ أهل البصرة»[1]، «فنشأ عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام و الفُتيّاً، يعرف ناسخ القرآن من منسوخه، ومُحكمه و متشابهه، و كان يتزوّد من الدّراسات اللّغوية، و الدّينية و من الشّعر القديم»[2]، كُلُّ هذا اِنعكس على حياة النّواسي ممّا أثار جدلاً دينياً واسعاً فيما بعد، فسعى إلى مجالس اللّهو و المجون، وعاشر الخلعاء و المتهتّكين، فتعرّف على والبة بن الحُباب أحد مُجّان الكوفة المشهورين، «فاِخْتُلِفَ في تفسير مذهبه الدّيني، فعدّهُ بعض الدّارسين من المرجئة، و من رآه من الجبرية، و نسب إليه آخرون الكفر، والإباحية، و لم تكن تلك الاِتّهامات عبثاً، فقد غصّ كثيرٌ من شعره بمعاني المنكر، و أغرق بالدّعوة للفحش، و الحضّ على الإباحية و المجون، على نحوٍ يجعل المتأمّل في شعره يظُنّ أنّه سار في طريق ضِلَال لا هداية بعده، و أنّ آثامه لن تُغفر، و أنّ لهفته على اللّذّة قد اِمتلكت عليه نفسه، فَغَدَا إماماً للفسق، و عَلَمًا من أعلام الفجور، و لكن المتأمّلُ سيُفاجأ لدى قراءته لمقطوعات شعرية أخرى، بشاعر مُنقلب على ذاته، قادرٌ على إثبات إيمانه العميق، و كشف النّقاب عن ذُنوبه، غير مُتوانٍ عن الاِعتراف بخطاياه، إذ تعرّض للّوْم أو مُسائلة، فهو موقنٌ بأنّ التّوبة تجب ما قبلها، و أنّ تماديه بالخطايا يُقابله عفوُ الله، و مغفرتَهُ و رحمَتُه الواسعة»[3].

نستخلصُ أنّ أبا نوّاس عاش في صراع، بينه و بين نفسه، فتارة يتّبع شهواته، فيشرُبُ الخمر، و يتغزّل بالغلمان، و يجاهره بآثامه، و تارةً أخرى يترك كلّ هذه الملذّات و فيلبس ثياب التّوبة والإنابة، و يُعلن اِنقطاعه عن المعاصي و الزّلّات، فظلّ النّواسي في هذا الصّراع حتّى دنا أجله، فبدا متحسّراً على ما فاته طالبًا الغفران من الله عزّ وجلّ.

[1] شعر اللّهو و المجون، تاريخه و أعلامه، جورج غريب، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ص 124.

[2] تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل، د.شوقي ضيف، ص 220.

[3] الإنقلاب المعرفي و المواجهة الثّقافية في شعر أبي نواس، آلاء عزّام عبد الوهاب عودة، أطروحة لنيل درجة الماجستير، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014، ص 17.

الفصل الثالث :المقدمة الخمرية.

- المبحث الأوّل:الخمرة في أشعار العرب.
- المبحث الثاني:موقف أبي نواس من المقدمة الطللية.
- المبحث الثالث: النوازع التي أدت بأبي نواس إلى التخلي عن القدمة الطّللية.

1-العمل الحضاري.

2-الشعوبية.

عَرَف العرب الخمرة قديمًا ، فكانت حاضِرَةً في شعرهم حضورًا لافتًا ، فَلم تكن مجالس الشعر تُقَامُ من دون خمرٍ إلا نادرًا ، فكانت الخمرة هي الجليس والأداة والوسيلة لغرض الشعر ، فشربوها وأحبوها ووصفوها ، وتناقلوا أخبارها ونوادر أصحابها وروادها منذ الجاهلية ، والعرب تعرف الخمرة وتعصرها من التمر ومن الشعير و من العنب ، كمَا جاء في قوله عز وجل : ﴿ **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا** ﴾[1]، فالعرب ذكروا الخمرة في مختلف العصور الأدبية ، ولقد كان لكل عصر خصائصه ومميزاته ، كما كان له رواده وأعلامهُ ، وفيما يلي سَنُورِدُ ذكرًا موجزًا لما اِتسمت به هذه العصور ، من ذكر للخمرة ووصفها وكيف إعتنى بها الشعراء وتفننوا في ذكرها، وكيف تطورت من عصر إلى أخر من جيل إلى جيل .

1-الخمرة في الجاهلية :

ذكر الشُعراء الجاهليون الخمرة في أشعارهم ، فتفننوا في وصفها ، وراحوا يرسمون لها أحسن الصور ، ويُسمونها بمسميات و يُصنفونها ضِمن تصنيفات عديدة ، مما يدل على أنَّ البيئة كانت بيئة خمر بكل المعاني والأوصاف ، "وقد تَصَرف العرب في أسمائها وكُنَاهَا بحسب اللّوْنِ ودرجة الإسْكَارِ والبلاد التي كانت تُجْلب منها ، ومن ذلك أنهم كانوا يُسمون نبيذ الشّعير الجعّة ، ونبيذ العسل البَتع ، أما المزر فنبيذ الحنطة ، والسُكَرْكَةَ إسم معرب لخمر الحبشة"[2]، ولعل أهم ما تميزت به الخمرة في شعر الجاهلية أنها كانت خمرة مُفاخرة وترف ومُتعة ، وهي خمرة تميز أصحابها بِعُلُوِ المقام والمكان ، وكثيرا ما عبروا بها عن السَّخاء والكرم ، "والخمرة عند العرب من دواعي الفخر والفُتُوة ، ومن دلائل الجُودِ ، فامرؤ القيس يشربها طُوراً قبل تَجَشُّمِ الهول ، و تارةً يرجئ شُرْبُهَا إلى ما بعد تحقيق الرغائب الجِسام كما قال وقد وظفر ببني أسدٍ ثَائرًا لأبيه ، وكان العرب يُحَرِمُونَ شُرب الخمر على أنفسهم إلى أن يُدْرِكُوا ثأرهم".[3]

---

[1] سورة النحل الآية 17

[2] الزمر الشعري عند الصوفية ، د. عاطف جودة نصر ، دار الأندلس ودار الكندي للطباعة والنشر ط1 سنة 1978 م .ص 328

[3] شعر اللهو والخمر ، تاريخ وأعلامه ، جورج غريب ص10.

يقول إمرئ القيس :

"حَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ تَحْرِيمٍ لَهَا أَوْ أَنْ يَمُسَّ الرَّأَسَ مِنْهُ غَسُولَا

حَتَّى أَبَاحَ دِيَارَهُمْ فَأَبَارَهُمْ فَعَمُوا فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلَا". [1]

فعندما ثار إمرئ القيس لأبيه أحل ما حرم على نفسه من شرب الخمرة ، كما حل لهُ غُسْل رأسه ، فقضى عليهم قضاء مُبْرَمًا ، وكذلك ذكر إبن كلثوم الخمر في مُعلقته ، فوصفها و وصف مفعولها بعد مزجها بالماء الساخن يقول :

" أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَ لاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَـا

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

تَجُورُ بِدِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذاقَهَا حَتَّى يَلِينَـــا " [2]

فبالإضافة إلى إمرئ القيس وبن كلثوم اللّذان ذكرا الخمرة في أشعارهما ، سار على منوالهما الشاعر عنترة يقول :

"وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الهَوَاجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَـمِ .

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ " [3]

هنا يعطينا صورة جميلة لإبريق الخمرة ، التي زجاجتها صفراء اللون ، ويقول أيضا في الخمرة بعدما انفق ماله من اجلها ، فشربها وسقاها لأصدقائه :

"فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكُ مَالِي وِعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

---

[1] ديوان إمرئ القيس، ص140

[2] ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعة وحققه وشرحه د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، سنة 1991 ص 65-64

[3] ديوان عنترة بن شداد ،إعتنى به وشرحه حَمَدُو طِماس ،دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة2، سنة2004، ص16.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي"[1]

لا نستطيع حصر شعر الخمرة في هذا العصر لكثرته وكثرة قائليه ، وتنوع مناسباته ، ولكن يجدر بنا أن نشير إلى أهم أعلامها في الجاهلية نذكر منهم : عدي بن زيد العيادي ، طرفة بن العبد ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ... ،ولعلنا نشير إلى إن الأعشى الأكبر كان رائدا بحق في هذا العصر ، " فللخمرة عندهُ منزلة كبيرة ، ولهذا أكثر من وصف الخمر وأطال وأجاد وصفها كوصف عاشق لمعشوق ، وتبسط في الحديث عنها بحيث كادت الصورة الخمرية تكتمل فيه ، وكادت جميع المعاني الخمرية الموجودة في الجاهلية تجتمع فيه بصور كاملة وكان الشاعر يَزُجُّهَا في قصائده ،أَيّةً كان غرضها و يَتوسل بها للمدح ، وهذا يظهر واضحا في معلقته حيث يستطرد عن تغزله في وصف حبيبه هريرة ووصف الروضة إلى الحديث عن اللهو وشرب الخمرة"[2]، يقول :

"وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَـــوِلُ
فِي فِتيَةٍ كَسُيُوفِ الهِندِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ
نَازَعتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً وَقَهْـوَةً مُـزّةً رَاوُوقُهَا خَضِـــــــلُ
لاَ يَستَفِيقُونَ مِنهَا – وَهيَ رَاهِنَةٌ – إِلاَّ بِهَاتِ ! وَإِنْ عَلّوا وَإِنْ نَهِلُـــوا
يَسعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطَفٌ مُقَلِّـصٌ أَسـفَلَ السِّرْبَالِ مُعتَمِـــــلُ
وَمُستَجيبٍ تَخَالُ الصَّنجَ يَسمَعُهُ إِذَا تُرَجِّعُ فِيهِ القَيْنَةُ الفُضُـــــــلُ" [3]

فشعر الخمرة في الجاهلية لانجدهُ يُمثل غرضا مستقلا بذاتهِ ، وإنما نجده في طيات القصائد الطوال تمثلُ الجزء الأكبر ، " فكانت المعاني الخمرية في الشعر الجاهلي محدودة ، وان دلت على شيوع الخمرة، فالشاعر تعرض لوصفها من خلال الجزء في القصيدة ، لا من خلال الكل" [4] . وفي هذا السياق يقول طه حسين : " لم يكن من الممْكن أن يستقل وصف الخمر في هذا العصر ويصبح فنًا

1 المصدر نفسه ص 16.

[2] المجاني الحديثة، البستاني فؤاد أفرام ،ج1، المطبعة الكاتولبكية، بيروت،لبنان،ط1،سنة1972،ص 228-229.

[3] ديوان الأعشى ، حققه د. محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماهير ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، مصر ص59

[4] شعر اللّهو والخمر ، تاريخه وأعلامه ، جورج غريب ، ص 21.

قائمًا بنفسهِ ، لأنَّ حياة الجاهلية لم تكن تسمح بذلك ولا تدعو إليه ، كما تدعو إلى وصف الخَيْلِ والإبِل لأنّهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش ، بحيث يستطيعون أن يَعْكُفُوا عليها ويُعاشرها معاشرة متصلةً كما كانوا يعاشرون الإبل والشَّاة ، وإنَّمَا كانت تسنح لكثير منهم فرصة اليوم أو الساعة، يشرب فيها ويلهوا ، فإذا فرغ من شربه ولهوه تحدث بذلك مفاخراً ، و ربما و صف الخمر و ذكر اللهو و هو لم يشرب ، ولم يأخذ من اللهو بحظّ ،و إنّما دعاه إلى ذلك الفخر والفن ، فقد دخل وصف الخمر والإلمام بها في فن الفخر ، والتّحدث بما يمتاز به المفاخِرُ من الكرم والسخاءِ ، ومن العفة حين يدعو كل شيء إلى إطراح العفة إلى غير ذلك من هذه المعاني الشائقة ،التي نجدها عند الجاهلين جميعا". [1]

2-الخمرة في العصر الأموي :

لقد تقلصت الخمرة في صدر الإسلام ، لأنّ الدين وقف ضدها موقفًا معاديًا فقام بتحريمها مصدقا لقوله تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا** ﴾.[2]فذكرها بعض الشعراء في قصائد المديح كحسان بن ثابت الأنصاري وكعب بن زهير، لكن الشعر الخمري رَكَدَ في صدر الإسلام لأسباب تعود كلها إلى تحريمها ، والخوف من عذاب الله ومن يوم القيامة ، "وَعُوقِبَ شَارِبُ الخمرة بالجلد والحبس وحلق الرأس ، أو اللحية أو الشوارب أو قطع العطاء ، كما عوقب بائعها بكسر أوانيه"[3] ، والشعراء في هذه الفترة لم يضيفوا شيئا إلي الشعر الخمري ، وكان وصفهم فخريا على عادة الجاهليين ، ولا يدل علي أنهم من المدمنين على الخمرة ، ربما دعا شعرهم الخمري إلى الفخر والفن لاغير ، ولما برز العهد الأموي الذي كَثُرَتْ فيه الغنائم وعَظُمَتْ الثورة ، اِنصرف أفراده إلى اللهو ، وشرب الخمرة فأسرفوا ، فيها وتطور الشعر الخمري في هذه الفترة ، وعاد إلى سابق اِنتعاشه يقول حنّا الفاخوري : " وقد اِنتشر الترف والغنى في بعض

[1] حديث الأربعاء ،طه حسين ، ج2 ، ص 76- 75 .

[2] سورة البقرة الآية 219.

[3] شعر اللهو والخمر ، تاريخه وأعلامه ، جورج غريب ، ص 26.

الأصقاع ، فتهافت الناس على متع الحياة ، وكان للخمرة في مجالس الحجاز والشام والعراق مكان مرموقٌ ، ولا عجب والحالة هذه ، في أن يزدهر الشعر الخمري عهد بني أمية وفي أن يكون للخمارة أنصار وأعوان"[1]، ويضيف طه حسين قائلا : " اِضطر الخلفاء من بني أمية إلى أن يظهروا في بعض الأحيان ضُروبا من القسوة ، فنكلوا ببعض هؤلاء الناس ، وعذبوا بعضهم الأخر ثم نفرهم ، ومع هذا فقد كان المسلمون يشربون ويلهون ، ولكنهم كانوا يحتشمون فلا يكادون يذكرون ذلك في الشعر إلا إلماما ، وكانوا يحتشمون إشفاقا ووقارا ، ولم يكن المسيحيون مكلفين أن يحتشموا ، ولا أن يخافوا ، بل كانوا يجهرون بلذاتهم ، وظهر في ذلك وبرع فيه الأخطل شاعر بني أمية ، ولسانه النطق بسياستهم ، المناضل لحزبهم ، كان مسيحيا ، وكان كَلِفاً بالخمرة مشغوفا بها" [2]، فالأخطل أكثر من شربها ، ووصفها في كثير من أشعاره ، فصورها أحسن الصور وجاهر بشربها ، فحافظ على الشعر الخمري في هذا العهد من التلاشي والِاندثار .

يقول :

"شَرِبْنَا فَمِتْنَا مِيتَةً جَاهِلِيةً مَضَى أَهْلُهَا، لَمْ يَعْرِفُوا مَا مُحَمّدُ
ثَلَاثَةَ أيامٍ، فَلَمَّا تَنَبَهَتْ حُشَاشَاتُ أَنفَاسٍ، أَتَتْنَا تَرَدَّدُ ".[3]

وكَان خلفاء هذا العصر يشربون الخمرة ، " فعبد الملك بن مروان يأتيها مرة في الشهر ، وِابنه الوليد يشربها يوما بعد يوم ، وسليمان كل ثلاث ليالٍ ، أما يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد فلا يقيمان لها موعدا خاصا "[4]، فكان الوليد بن يزيد بن معاوية من أبرز من ذكروا الخمرة في أشعارهم ، من خلفاء بني أمية على أنّ ذكره للخمرة وتغنِيهِ بها كان على شكل متفرقات لا قصائد مستقلة يقول :

"كَيفَمَا دَارَتْ الزُّجَاجَةُ دُرْنَا يَحْسِبُ الجَاهِلُونَ أنَّاجُنِنَا "[5]

---

[1] الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1986م ، ص697.

[2] حديث الأربعاء ، طه حسين ، ج2 ، ص 77 بتصرف .

[3] ديوان الأخطل ، شرحه وصنف قوافيه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 سنة 1994م ، ص97.

[4] شعر اللهو والخمر ، تاريخه وأعلامه ، جورج غريب ، ص27 .

[5] ديوان الوليد بن يزيد ، جمعه وحققه واضح الصمد ، دار الصادر بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1988 م ، ص 82.

إنّ شعر الخمرة في البيئة الأموية لم يختلف عما كان موجودا في البيئة الجاهلية لا من حيث المميزات أو الخصائص، فالشاعر الأخطل هو الذي داع صِيتُهُ في هذا العصر ، فكان يُجيد وصف الخمرة ومجالسها ، وسار على سنن شعراء الجاهلية ، فهو لم يأتي بالجديد ولم يغير في شعره شيئا ، يقول طه حسين : "إنّ الأخطل على إكثاره في وصف الخمر ، لم يكد يتجاوز ما سبقه إليه الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية ، فهو أكثر في وصف الخمر ، ولكنه لم يخترع شيئا كثيراً "[1]، وقد وافقه في هذا الرأي إيليا حاوي الذي نجده يقول : " وهكذا فإن الأخطل يحتشد في خمرياته ويتألب شأنه في ذلك كشأنه في سائر موضوعات شعره ، إذا كانت الخمرة جزءا منها ، أو بالأحرى جزءا من القصيدة الاتباعية المستهلة بذكر الطلل والضغائن والمطايا والمفازة وما إلى ذلك "[2].

-ختام القول أنه على الرغم من شيوع الخمرة في العصرين الجاهلي والأموِي ، إلا أنّها لم ترقى كفن مستقل بذاته ، وكان شعراءها مُقلدين لا مُجدِّدين .

3-الخمرة في العصر العباسي :

أطلّ العصر العباسي حاملًا معه مظاهر التجديد في مختلف الميادين ، واِختلطت الأجناس وتكاثر الأعاجم والفرس ، فعم الفساد في البلاد ، ثم اِنتشرت مظاهر اللهو والمجون ، فكثرت الحانات ، وكثر كذلك شعراء الفُسق والمجون ، الأمر الذي دفع ببعض الخلفاء على تشجيع النّاس على شرب الخمر مثل الهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ... ، فأقبلوا عليها وأقاموا لها المجالس في قصورهم ، وأكثروا من اِقتناء الجواري ، وأمام هذا الوضع المترف أخد الشعراء يصفون الخمرة ويَتَغَنَوْنَ بها في أشعارهم لا سيما الشاعر أبو نواس الذي كان رائدًا للخمرةِ في هذا العصر ، كذلك نجد الشاعر حسين اِبن الضحاك برع في هذا المجال ، فجعلوا الخمرة مقدسة ، وفي ذلك قال الزُّهَري: " يتضح لنا مما تقدم أنّ الشراب ، والغناء في هذا العصر كان يُرضيان ميولا روحية تتصل بالماضي ، وحاجات نفسية تتصل بالحاضر ، فلا عجب بعد ذلك إذا ما تقبلها المجتمع

[1] حديث الأربعاء ، طه حسين ، ج2ص93.

[2] فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط1 سنة 1997م ص166 .

قبُولًا حسنا ، فإنّهمك النّاس فيها إنهماكًا شديدًا ، ولا عجب أيضًا إذا ما إندفع الأدباء تحت تأثير هذا التيار الجارف ، وإستجابوا إلى رغباتهم الخاصة ، ولرغبات ممدوحيهم ، وأهل عصرهم عموما ، فأكثروا من وصف الخمرة والغناء ووصف مجالسها وآلاتها ، وجاهروا بالدعوة إلى ممارستها في شيء كثير جدا من الحماسة... "[1]، وإن كان شعر الخمرة موجود سابقا حيث ذكره الشعراء الجاهلية والأمويون في أشعارهم إلا أنّه لم يرتقى إلى المنزلة التي وصل إليها في هذا العصر، حيث أصبح فنا قائما بذاته ، فالنواسي أحب الخمرة حُبًا جعله يعبدها ويقدسها و أكثر شعر يتحدث عنها يقول :

"لَسْتُ أَرَى لَذَّةً ، وَ لاَ فَرَحًا وَ لاَ نَجَاحًا،حَتَّى أَرَى القَدَحَا

نِعْمَ سِلاَحٌ الفَتَى المُدَامُ ، إِذَا سَاوَرَهُ الهَمُّ ، أَمْ بِهِ جَمَعَـــا

وَالخَمْرُ شَيْءٌ ، لَوْ أَنَّهَا جُعِلَتْ مِفْتَاحَ قُفْلِ البَخِيلِ لَإِ نْفَتَحَا

لاَ عَيْشَ إِلاَ الْمدَامُ أَشْرَبُهَا مُغْتَبِقًا تَارَةً ، وَمُصْطَبِحَـــا "[2]

ومن خلال شعره هذا نستنتج أن الحياة عند أبي نواس لا لذة لها ولا طعم فيها ولا فرح ولا نجاح إلا بالخمرة ، فهي سلاحه لمحاربة هموم الدنيا ، وهي مفتاح البخيل ليتحرر من بُخْله وشُحه ،ثم يصرح بأنّه لا معنى للحياة بدونها فهو يشربها في المساء ، وفي الصباح . ويقول أيضا :

"أَلاَ فَاسْقِنِي خَمْرًا، وَقُلْ لِي : هِيَ الخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الجَهْرُ" [3]

في هذا البيتِ أبو نواس صريح يُفضل المجاهرة بالخمر ، لا يحب التستر، فالشعر الخمري تطور تطورا ملحوظا على يد أبي نواس ، فهو وصفه ، ووصف مجالسه وألوانه وطعمه فهو بالتالي فَصّلَ فيه تفصيلا دقيقًا

[1] الموجز في الأدب العربي و تاريخه ، حنا الفاخوري ، مجلد2، دار الجيل بيروت ، لبنان ، ط3 سنة 2003 م ص 280 .

[2] الديوان ،ص282 .

[3] المصدر نفسه، ص459 .

ويقول كذلك :

"وَلَكِنَنِي أَبْكِي عَلَى الرَّاحِ، إِنَّهَا حَرَامٌ عَلَيْنَا فِي الكِتَابِ المُنْزَّلِ

سَأَشْرَبُهَا صِرْفًا ، وَإِنْ هِيَ حُرِّمَتْ، فَقَدْ طَالَمَا وَاقَعْتُ غَيْرَ مُحَلَّلِ "[1]

نستنتج من خلال هذين البيتين الشعريين أنّ أبا نواس يعرف أنّ الخمرة حرام في القران الكريم ، وأنّ شاربها يُقام عليه الحَدُ ، إلا أنّه يبكي عليها فهو يشربها حتى يفقد الوعي .

من خلال كل هذا إن العصر العباسي مليء بالمظاهر والمجون ، وبالخمرة التي أصبحت حديث العام والخاص ، ومن ذلك يقول الدكتور محمد زكي العشماوي : " كثر شعراء المجون ، فأشاروا بصفة خاصة إلى جماعة منهم ، وأطلقوا عليهم إسم عصابة المجان ، ومن أشهر أفرادها مسلم بن الوليد والفضل الرقاش ومطيع بن إياس ، وحماد عجرد وإبان اللاحق والحسين بن الضّحاك وأحياناً العباس بن أحنف ومعهم أبو نواس ، وغير هؤلاء كثيرون ، وقد كانوا يجتمعون في حانات بغداد يقيمون فيها أياما موصولة لا يقطع فيها شرابهم ولا مجونهم" [2] ، فالعصر العباسي تميز بشعره تميزاً صريحا بالخمرة كما يقول إيليا حاوي : " فالخمرة ربيبة الحضارة بل هي رمزها فيما كان الطلل رمزاً لحياة العرب الضاربين في متاهة صحرائهم القاحلة "[3].

ختام القول نقول: أنه كان لابد لشعر الخمري من أن يتطور في هذا العصر ، لأنّ كل الظروف أتيحت له لينمو ويزدهر ، فالخمرة اِستوفت أتم صورها ، واِكتمل نُضجها وبلغت أَوَجَهَا مع رائدها أبو نواس الذي ثار على القديم ، ودعا إلى التجديد ، ضِفْ إلى ذلك التطور الذي حصل في مجالات الحياة المختلفة لاسيما الشعر .

---

[1] المصدر نفسه ، ص 1011.

[2] موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، محمد زكي لعشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 سنة 1981 ص67.

[3] فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، ص178.

دَأب الشعراء الجاهليون على بدء قصائدهم بوصف الأطلال و الدمن التي خلفتها القبيلة وراءها بعد رحيلها ، فيصفون هذه الآثار التي لها علاقة بمحبوبتهم التي يحملون لها أصدق المشاعر ، فيذكرون أيامهم الماضية معها ، و يحنّون إليها ، و يتأملون هذه الآثار التي خلّت من أصحابها بعدما كانت بالأمس تمتلئُ حياةً وحركةً، و يقفُ الشاعرُ يبكي و يطلبُ من رِفاقهِ أن يَبكُوا معهُ ، وتأتي هذه المقدمة الطللية في القصيدة تمهيداً لموضوعات أخرى يَوَدُ الشاعرُ تناوُلها فيما بعد ، و قد وردت عدّة محاولات لتفسير هذه الظاهرة منها قول الدكتور القيسي :" إن بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصّة ولا تجربة وجدانية ذاتية ، بل لحظة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن ،و بالحنين إلى الاستقرار و المقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يُقيم بيتًا ، يُخَلِدُ فيه ذكرياته ويسترجعُ مقَام صباهُ ، و هو في الواقع لا يواجِهُ حبه فحسب ، و إنّما تتداعى في ذاكرتِهِ صُور شبابه الذَاهب ، و هاذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة تحمل الحنين والشوق ".[1]

و ترى الدكتور غزة حسن :" أنّ المقدمات الطلليّة أو الغزلية تمثل جُزءاً من حياة العربي الجاهلي ، وهي تقومُ أساسا على صراع الإنسان ضد الطبيعة للتغلب على هذه الحياة و البقاء في مُواجهَةِ القسوة و الفناء "[2]، و الدكتور يوسف خليف يقول :" أن مثل هذه المقدمات كانت فرصة للشاعر كي يُعبر عن نفسه ، و يُخَفِف من زحمة الإلتزامات القبلية ليُحقق وُجُودهُ الضائع ".[3]

من خلال هذه الآراء نلاحظ أنّه كان لابد للشاعر الجاهلي أن يبدأ قصائدهُ بالوقوف على الأطلال ، لأنّه بواسطتها يستطيع أن يُعبرَ عما يَختلجُ صدرهُ من مشاعر و أحاسيس ، "ومن المعروفِ أن المقدمة الطللية لم تكن الصورة الوحيدة لمقدمات القصائد الجاهلية ، و إنّما كانت هناك صورٌ أخرى لهذه المقدمَات ، و كانت المقدمة الطللية أكثرها شيوعا و اِنتشارا ، و أقربها إلى نفوس الشعراء الجاهليين "[4]، فكانت هناك مقدمات خمرية ، وهذا ما نراه عند قراءتنا المعلقة ، عمرو واِبن كلثوم ،

[1] الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د.نوري حمودي القيسي ،دار الإرشاد ، بيروت لبنان ،سنة 1970م ،ص 255.

[2] شعر الوقوف على الأطلال ، عزة حسين ، طبعة الترقي ، دمشق ، سنة 1980م، ص 5.

[3] دراسات في الشعر الجاهلي ، يوسف خليف ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، سنة 1981م ص 118.

[4] المرجع نفسه ص 119.

وهناك مقدمات غزلية خالصة لا علاقة لها بالأطلال ، و هذا ما يظهر في مُعلقة الأعشى ، و كذلك يوجد مقدمات تتحدث عن الفروسية ،" فكان في العصر الجاهلي تنوع في المقدمات ، و ذالك راجع إلى طبيعة الشاعر و ميولاته النفسية ، لكن الأكثر شيوعا المقدمة الطللية ، ومن الواضح أنّ هذه المقدمة تدور حول ثلاثة دوافع أساسية هي : المرأة ، الخمر و الفروسية ، و هي كلُّها متع الجاهلية التي كان فتيان العرب يعيشون لها و يحرصون عليها ".[1]

فَسَارَ على منوال الشعراء الجاهليين كُلٌ من شعراء العصريين الإسلامي والأموي بالمقدّمة الطللية ، اِلتزاماً تامًا في شكلها ومعانيها وصورها ، و بعد العصر الأموي يأتي العصر العباسي ، التي بدأت فيه المقدمّة الطللية بِاتخادها أشكالا متنوعة و متعددةً ، فالشعراء العباسيون " أخذوا يغيرون في شكل المقدمة الطللية ، بل اِستحدثوا أنواعا من فواتح المقدمات اِستمدوها من بيئتهم المتحضرة وحياتهم المترفة ، فحذفوا الكثير من عناصرها البدوية المتصلة بالبيئة الصحراوية ، و أهملُوا مقدمة وصف الظعائن ، لكنهم لم يُهملوا مقدمة الفروسية "[2]، و من شعراء العصر العباسي الأول الذين اِبتدعوا مقدمات جديدة ، الشاعر أبو نواس ، فقد اِبتدع المقدمة الخمرية ، ودعا بقوة إلى الإكثار منها ، واِستهلال القصائد بها ،" فاِتجه إلى الشعر يسكُب فيهِ روحَهُ ، و يصبُ فيهِ ثورتهُ و تمردهُ على القديم و مُمثليه من الشعراء ، فرفض الأسلوب الجاهلي و الأموي ، و اِستجاب للكلمة المشتقة من دواعي الحياة ، مدركاً أنّ الشاعر ينبغي أن يُعطي صيغةً شخصيةً للغة الشائعة ، و ألا يذوب أسلوبه في اللغة الجاهرة ، فالفنان العظيم هو الذي يُضفي طابعهُ و حقيقته على العمل الفني بأن يخلُق عالمهُ اللغوي الخاص به بقوانينه التي تُميزهُ ، فيُحطم الشكل والعلاقات والتراكيب التي فرضها المجتمع و يبني شكلا و علاقات وتراكيب جديدة مستوحاةٌ من تجربتهِ ورؤيتهِ".[3]

[1] المرجع نفسه، ص 119.

[2] مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، د.حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت ،لبنان ،ط1، ص 262.

[3] الشعر العباسي ، قضايا وظواهر ،د.عبد الفتاح نافع ، دار جرير، ط1 سنة 2011 ، ص 67.

فالشاعر النواسي هو الحامل للواء التجديد ، وهو الذي ثار على وصف الأطلال ، وهذا لايعني أن أبا نواس قد ترك المقدمة الطللية نهائيًا ، فقد جاءت مُعظم مَدائحه للخلفاء العباسيين مُستهلة بالمقدمات الطللية ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان أبو نواس أول من دعا إلى نبد الوقوف على الأطلال ؟،"وبعد الدراسة والبحث ، فقد وُجِد مِن الشعراء من سبق أبا نواس ، فيُعد الكميت ابن زيد الأسدي صاحب الهاشميات ، وشاعر الشيعة في العصر الأموي أول من رفع صوته مناديًا بترك الوقوف على الديار العافية مدفوعا بدافع ديني ، وهو حبه لآل البيت" [1] ، وكانت جُلُّ قصائده مبدوءة بحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان شعره يُعد شيئاً جديدا في الشعر العربي، لكن محاولته لم يكتب لها النجاح ، "أما أبو نواس فقد دعا بقوة إلى التجديد في عمود الشّعر، وجهر بهذه الدعوة ، لأنّه أحسّ ، أنّ التقليد لم يعد يُلاءم تلك الحضارة الجديدة بما جاءت من ضُروب الطرب وألوان الفتنة " [2] ، فالنواسي إتخذ من خمرياته مجالا لمهاجمة المقدمة الطللية والإستغناء عنها ، وإحلال المقدمات الخمرية مكانها ،" فيعلن حربًا على بُكات الديار ، ونائحيها من الشعراء الذين يأبون إلا أن يتغنوا بالماضي في حين لو أمعنوا النظر لوجدوا أن كل ما حولهم قد تغير ، وأما الديار التي يبكونها تحولت إلى قصور زاهرة وبيوت عامرة ، ولو تأملوا دواخلهم لوجدوا أنّ ما يجول فيها يتناقض مع ما يقولون "[3] ، يقول النواسي :

"أَحْسَنُ مِنْ وَصْفِ دَارِسِ الدِّمَنِ ، وَمِنْ حَمَامٍ يَبْكِي عَلَى فَنَنِ

وَمِنْ دِيَارٍ عَفَتْ مَعَالِمُهَا ، رِيحَانَةٌ رَكَّبَتْ عَلَـــى أُذُنِ". [4]

"وتمتد ثورته لتشمل كل ما يرتبط بقضية الطلل ، فيتناول الصحراء وحيواناتها ونباتاتها ، ويتعرض للعرب ومعيشتهم المجدبة مستغربًا من هؤلاء القوم الذين يتغنون الخشونة والجدب في زمن من الخصب

[1] إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ، سنة 1962 م ، ص 144 .

[2] مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الاول ، د. حسين عطوان ، ص99.

[3] الشعر العباسي ، قضايا وظواهر ، د. عبد الفتاح نافع ، ص69 .

[4] ديوان ، ص1267 .

والنماء ، فيلبسون زيًا غير زيّهم ، ويتحدثون بلسان غير لسانهم ، ويُؤرخون لفترة لا يعيشون فيها ، ويصرخ آمرا ثارةً وناهيًا تارةً ومحذرا من هذه الإتجاه" [1] يقول :

"دَعِ الأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الجَنُوبُ وَتُبْلِي عَهْدَ جِدَّتِهَا الخَطُوبُ

وَخَلِّ لِراكِبِ الوَجْنَاءِ أَرْضًا تَخُبُّ بِهَا النَّجِيبَةُ والنَّجِيبُ

بِلَادٌ نَبْتُهَا عَشَرٌ وَطَلَحٌ وَأَكْثَرُ صَيْدَهَا ضُبُعٌ وَذِيبُ

وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الأَعْرَابِ لَهْوًا وَلَاعَيْشًا فَعِيـشُهُمُ جَدِيبُ

دَعِ الأَلْبَانَ يَشْرَبُهَا رِجَالٌ رَقِيقُ العَيْشِ بَيْنَهُمْ غَرِيبُ"[2]

فالشاعر النواسي أراد أن يعيش زمانه ، وأن يُوصف بالشاعر المحدث، فحطم الأشكال التقليدية إجتماعية كانت أو أدبية ، فإخترق الأساليب القديمة وقضى على النُّظم السائدة ، فثار على الأطلال ورفض تقديسها ،يقول :

"أَيا باكِيَ الأَطلالِ غَيَّرَها البَلَى بَكَيتَ بِعَينٍ لَا يَجِفُّ لَها غَـــــرِبُ

أَتَنعَتُ داراً قَد عَفَت وَتَغَيَّرَت فَإِنّي لِمَا سَالَمْتَ مِن نَعْتِها حَرْبُ"[3]

يقصد الشاعر هنا بكلمة حَرب ، حَرْبٌ على الصحراء ، بفقرها وخشونتها وعلى ساكنيها البدو بقسوتهم وغلظتهم ، وثقل عيشهم ، وهكذا مضى أبو نواس في مذهبه الجديد يَذُمُ كل ماله علاقة بالأطلال ، لأنّ الشعراء القدامى أحاطوا شعر الطلل بهالة من القُدُسِيّةِ ، فإتخذوا منه رمزاً لذكرياتهم وماضيهم ، فخاطبوه وناجوه وسكبوا فيه آلامهم وأحلامهم ، فثار النواسي على هذا المنهج مما جعله محلّ سخرية ، فهاجمه أنصار القديم " الذين قادوا حملة ضده وضد مذهبه الشعري الجديد ، والواقع أنّ موقف العَداءِ الذّي إتخذه التقليديون من مذهبه الشعري قد عَرَضَهُ لحملةٍ من التشهير والذّم ، من

[1] الشعر العباسي ، قضايا وظواهر ، د. عبد الفتاح نافع ، ص 69 .

[2] الديوان ص 56 .

[3] المصدر نفسه ص 54.

هنا تتضح لنا آفاق الخصومات التي إستعرت بينه وبين المتعصبين للقديم، ولا يخفى علينا ما لقيته مسألة القديم والحديث آنذاك من إهتمام في الأوساط الأدبية وما كان يلحق بكلا الطرفين في سبيلها من إتهامات كانت تصل إلى حد التجريح الشّخصي ، وهذا ما نَهّجَهُ أبو نواس بذات حين هاجم المتعصبين للقديم في إطار دعوته لتجديد "[1]، فهو هنا يُهاجمهم ويسخر منهم ويدعوهم بالأشقياء يقول :

"عَاجَ الشَّقِيُ عَلَى دَارٍ يُسَائِلُهَا وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَة البَلَـــدِ

لَا يَرْقَىءُ الله عَيْنِي مَنْ بَكَى حَجَرًا وَ لَا شَفَى وَجْدَ مَنْ يَصْبُو إلَى وَتَدِ

قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الحَيِّ مِنْ أَسَدٍ لَا ذَرَّ ذَرُّكَ قُلْ لِي : مَنْ بَنُوا أَسَـدِ؟

وَ مَنْ تَمِيمٌ؟ وَ مَنْ قَيْسٌ وَ إِخْوَتُهُمْ لَيْسَ الأَعَارِيبُ عِنْدَ الله مِنْ أَحَـدِ

دَعْ ذَا عَدِمْتُكَ وَإِشْرَبْهَا مُعَتَّقَةً صَفْرَاءَ تُعْنِقُ بَيْنَ المَاءِ و الزَّبَـــدِ"[2]

ويقول في موضع آخر :

"قُلْ لمَنْ يبْكِي عَلَى رَسْمِ دَرَسْ وَاقِفاً ، مَا ضَرّ لَوْ كَانَ جَلَـــسْ"[3]

هكذا هو أبونواس يتحدث عن واقع الحياة التي هي ملاذهُ ، ويصرّح جهرا بترك التقاليد القديمة من الوقوف على الأطلال وذكر الديار ونبذ الحياة القاسية الصعبة ، ونبذ البؤس والحرمان ،يقول :

أُتْرُكِ الأَطْلَالَ لَاتَعْبَأْ بِهَا ، إِنَّهَا مِنْ كُلِّ بُؤْسٍ دَانِيَـــــــــهْ [4]

[1] أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد ،د. أحلام الزعيم ، ص 31 .

[2] الديوان ص 336 .

[3] المصدر نفسه ،ص 721 .

[4] المصدر نفسه ،ص 1441 .

فأبونواس يرفض البيداء القفرة والخيام المنصوبة ، التي تَعُج أراضيها بالشيح والحلفاء ، التي توحي باليأس والشؤم والخراب ، ويدعوا إلى إهمالها ، وعدم السؤال على أحوالها ، لأنّها لن تسمع الكلام ، ولن ترد السلام ، يقول :

" أَبْخَلُ عَلَى الدّارِ بِتَكْلِيمِ ، فَمَا لَدَيْهَا رَجْعُ تَسْلِيـــــمِ

وَالْعَنْ غُرابَ البَيْنِ بِغْضَا لَهُ ، فَإِنّهُ دَاعِيَةُ الشّـــــــــؤْمِ

وَ عُجْ إِلَى النَّرْجَسِ عَنْ عَوْسَجِ، والآسِ عَنْ شِيحٍ وَ قَيْصُـومِ

وَاغْدُ إِلَى الخَمْرِ بِإِبّانِهَا لَا تَمْتَنِعْ عَنهَا لِتَـــــــحْرِيمِ

فَمَنْ عَدَا الخَمْرَ إِلَى غَيْرِهَا عَاشَ طَلِيحًا عَيْنَ مَحْـــــرُومِ"[1]

- فأبو نواس في قصائده يثور على النظام القديم ، ثم يدعو إلى شُرب الخمر ، يقول :

"لا تَبْكِ لَيْلَى ، ولا تطْرَبْ إلى هندِ، واشْرَبْ عَلَى الوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ

كَأْساً إِذَا انحدَرَتْ في حلْقِ شَارِبِهَا، أجْدَتْهُ حُمْرَتَهَا في العَيْنِ والخَـــــــدَّ

فالخَمرُ ياقوتةٌ ، والكأسُ لُؤْلُؤة مِنْ كَفّ جَارِيّةٍ مَمْشُوقَةِ القَـــــــدَّ"[2]

ويقول في موضوع آخر :

"لقَدْ جُنّ مَنْ يَبكِي عَلَى رَسْمِ منزِلٍ ويَندُبُ أطْلالاً عَفَوْنَ بجـــرْوَلِ

فَإِنْ قِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: حَمَامةٌ تَنوحُ على فَرْخٍ بِأصْواتٍ مُعْوِلِ

تُذَكَّرُونِي حَيّاً حِلالاً بقَفْرَةٍ ، وَآخِيَّةٍ سُدّتْ بفِهْرٍ وجَنْـــــدَلِ

لَكِنَّنِي أَبْكِي عَلَى الرَّاحِ ؛ إِنّهَا حَرَامٌ عَلَيْنا في الكِتَابِ المنــزَّلِ"[3]

---

[1] المصدر نفسه،ص 1126 .

[2] المصدر نفسه، ص 335 .

[3] المصدر نفسه،ص 1011 .

فالشاعر النواسي لاينسجم مع الطلل لأنّه لا يحاكي شخصية الواقعية التي ترى في الماضي سوى الألم والتعاسة ، فهو لايستطيع أن يمسك نفسه عن شرب الخمرة مع أنّه يعلم أنّها حرام إلا أنّها تمنحه عالما من المتعة والجمال ، فهكذا مضى أبو نواس يعترض المذهب القديم ، رافضا أن يكون عبداً للتقاليد ، فصرخ ناهياً وآمرًا ترك الوقوف على الطلل ، ودعا إلى العيش في النعيم ، وشُرب الخمرة المعتقة الصافية يقول :

" إِعْدِلْ عَن الطَّلَلِ المُحِيلِ ، وَعَنْ هَوَى نَعْتِ الدِّيَارِ، وَوَصْفِ قَدْحِ الأَزْنُدِ

وَ دَعْ العَرِيبَ ، وخَلَّهَا مَعَ بُؤْسِهَا لِحَارَفٍ أَلِفَ الشَّقَاءَ، مُزَنَّـــــدِ

وَ اقْصِدْ إلى شَطّ الفُراتِ، وعَاطِنِي قَبْلَ الصَّبَاحِ، وَعَاصِ كلّ مُفنَّــدِ"[1]

فَدَعْوة أبو نواس لترك الأطلال لم تَمُرْ مُرور الكرام ، بل كانت مسار جدل ووجهات نظر متباينة عند النقاد و الدارسين ،" فالدكتور أحمد كمال زكي نراه يعيد ثورة أبي نواس الشعرية ، ومهاجمة القديم إلى موافقة الشعوبية التي ما نظن أنّه كان يأخُذ بها ، لأنّ هجومه لم يكن منصبا على العرب وإنّما كان على الأَعراب ، وفرق كبير بين هجوم العرب وهجوم يُطال الأعراب ، ولاَ ننسى في هذا المجال أنّ أبا نواس كان قد مدح في أكثر من مُناسبة اليمانية "[2] ، ويرى البُهبيتي أنّ أبا نواس قد غلا في الدعوة إلى ترك الإفتتاحية الغزلية التقليدية للقصيدة التي تدور حول بقايا الديار والبكاء عندها ، والوقوف عليها ، وأسرف في القول بوجوب نبدها ، وذهب في تحقيرها مذهبا أوقفه من هذا التقليد موقف العدو الأوّل ، وخلط أبو نواس بين عداوة الوقوف على الديار وعداوة أصحابها حتى قارب أن يكون في ذلك متعصبا على العرب ، فربط ذلك بينه وبين الشعوبيين ، وجعلهم يحتضنونه "[3]،ثم يضيف الدكتور طه حسين رأيه فيقول : " إنّ أبا نواس يدعو إلى مذهب جديد ، وهذه الجدة التي يدعوا إليها لم تكن أمرا طارئا في حياته وحياة الناس، بل كانت هي الأمر الواقع في التطور الإجتماعي والثقافي والأدبي ، ولكن الفرق يبقى في التنبه لهذا الجديد وفي الإعتراف به والدعوة إليه "[4]، فأبو نواس عندما ثار على المقدمة الطليلية جعل نفسه محل هجومٍ من قِبَلِ أنصار القديم وهذا لايعني أنّه أغفل

[1] المصدر نفسه، ص364.

[2] أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد ،د. أحلام الزعيم ،ص 32 .

[3] المرجع نفسه، ص 33 .

[4] حديث الأربعاء ،طه حسين ، ج2 ، ص94.

الإبتداء بالوقوف على الطلل ، بل وجد في أشعاره ما يدل على ذلك ، " فهو كان مضطراً أن يسلك منهج القدماء في وصف الطلول ، فلا يتحرج من أن يُعيد مسلكه هذا إلى رغبة أمير المؤمنين الذي سلك مسلك غيره فتعلق بالماضي ، إنّه لا يستطيع أن يُخالف أمره على الرغم من أن ذلك يتناقض مع طبيعته"[1]، يقول :

"أَعِرْ شِعْرَكَ الأَطْلَالُ وَالدِّمْنَ القَفْرَا فَقَدْ طَالَ مَا أَزْرَى بِهِ نَعْتُكَ الخَمَرَا
دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلَّطٌ ، تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَجُوزَ لَهُ أَمْـــرَا
فَسَمْعٌ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ،وَطَاعَةٌ وإِنْ كُنْتَ قَدْ جَشَّمَنِي مَوْكَبًا وَعْرَا "[2]

وفي موضع آخر يدعو إلى ترك اللهو والعبث يقول :

"نَهَانِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَنِ الصَّبَا ، وَأَمْرُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُطَاعُ [3]

فهنا أبو نواس وقف على الأطلال مُكرها ، فموقفه واضح من الطلل لأنّه يراه نوع من العبودية، فرضه الشعراء القدامى في قصائدهم ، فهو من أنصار الحداثة والجِدّة ، وهو الذي قفز قفزة جديدة بالشعر العربي في باب التجديد والحداثة .

[1] شعر العباسي ، قضايا و ظواهر ، د.عبد الفتاح نافع ، ص 72.
[2] الديوان ص 462 .
[3] المصدر نفسه ص 819 .

ذَكَرنا سابقًا أنّ المقدمة الطّللية شاعت في العصر الجاهِلي ، وكذلك في العصرين الإسلامي والأموي ، ولما جاء العصر العباسي تغيرت الموازين إذ يُعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية في جميع النواحي ، حيث اِزدهر فيه الأدب ، وتنوعت فيه الأغراض ، كما نمت فيه الحضارة ، وكثر فيه الأدباء والشعراء ، وعلى رأسهم الشاعر أبو نواس الذي ثار على المقدمة الطللية ، واِستبدلها بالمقدمة الخمرية ، وكانت هناك عدة أسباب وراء قيامه بذلك نذكر من بينها ما يلي :

1-العامل الحضاري :

تَطورت العمارة العباسية أثناء الخِلافة المنصور حيث شَرَّعَ في بناء عاصمته في بغداد ،" فشيد فيها الخلفاء قصورا ضخمة ومباني شاهقة ، ورحاب واسعة وساحات كبرى كالتي تتصدر قصر الخليفة ، والتي تُقام فيها الاِستعراضات المختلفة للجيش وتنظم فيها أنواع شتى من المباريات الرياضية ، وألعاب الفروسية كالرماية وسباق الخيل والمصارعة ، وسواها من ضروب ألعاب التسلية والترفيه ، ومما زاد في حسن جمالها ، طرقاتها المتَلألِئَةُ بمصابيح مُنيرة ، ظلت ترسل أنوارها في ربوع بغداد ومساجدها العتيقة التي تعلوها منارات تُعد آية من آيات الفن المعماري الإسلامي العتيق ،و التي اِزدانت جدرانها بشتى الزخارف البديعية ، والآيات القرآنية ، كما فُرشت أرضها بأنواع مختلفة من المفروشات ، كُلٌ من هذه الأمور جعلت من بغداد أم المدائن وعروس العرائس ، ومواطن العلماء والشعراء ، عاصمة الخلافة والخلفاء ، وموئل العلم والعلماء، ومنبع الشعر والفن ، وقِبلة المغنين وموطن الغناء ، ولما طارت شهرتها واِتسعت ثروتها وحضارتها ، شرع الناس يتقاطرون إليها من مختلف الأنصار والأقاليم ، طلبًا للرزق عن طريق التجارة أو الصناعة أو الأدب ، أو بسبب الملاهي التي شاعت في هذا العصر ، حيث اِلتقى العربي والفارسي والرومي والتركي والهندي والبربري ، ومن هؤلاء نجد المسلم واليهودي والبوذي وسواهم[1]".

[1] مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول "132 – 232هـ " د. مصطفى بيطام ، ص32-31 بتصرف .

كل هذه الأمور جعلت من بغداد مدينة يتغنى بها الشعراء ، ويبدون إعجابهم بها ، فوصفوها في أشعارهم ، ومن بينهم الشاعر عمار بن عقيل ، والشاعر معدان التغلبي ، والشاعر العتري، "ومن بين القصور التي بناها الخليفة قصره المعروف بقصر الذهب على طراز قصور ذات الأواوين الفخمة ، وقد أقيم في صده إيوان شامخ يتصل بإيوان مثله جُعلت فوقه قبة عظيمة عرفت بإسم القبة الخضراء ، وكان يعلوها تمثال فارس بيده رمح ، ولا يزال الفارس يدور مع الريح ، وبُنيت دُورٌ كثيرة لدواوين والخزائن ، وأقطع المنصور قواده كثيراً من القطائع داخلها ،ومن أجل ذلك نُسبت دروبها إليهم ، وإبْتَنَى لنفسه قصرا صيفيا على دجلة وراء باب خرسان سماه قصر الخُلد، ثم بنى قصر الرصافة للمهدي ،وسرعان ما أنشأ كبار القواد حول القصر منازلهم ، و تكاثرت الأبنية وضُمّ إليها كثيرٌ من الأرباض بحيث أصبح هذا المعسكر شطر ببغداد الشرقي ، ووصل المنصور بين الشطرين بجسرين كبيرين من السفن ، وبذلك إتسعت ببغداد فشملت المدينة المدورة في الغرب والرصافة في الشرق ، كما شملت أَرْبَاضًا وَ مَحَالْ كثيرة من أهمها محلة الحربية نسبة إلى حرب أحد قواد المنصور ، محلة الكَرَخْ ، وبها كانت أسواق التجار ودور الملاهي ، ومن محلاتها الشرقية محلة الشماسية ، وبها إبتنى البرامكة كثيرا من قصورهم "[1] ، نستنتج من هذا كله أن الخلفاء إعتنوا عناية بالغة ببناء القصور و الدّور ، كما بالغوا في تزيينها وتجميلها ، بأفخر أنواع الحرير المنسوج بالذهب ، " فقد بنى الرشيد على دجلة قصرا تفنن في تجميله ، حيث زَيّنَهُ بشتى أنواع الزينة وأقام فيه أساطيل الرخام ، بينما بنى المعتصم قصرا له في سمراء سماه (الجوسق) ، وهكذا فعل سائر الخلفاء الدين جاؤوا بعده ، فتميزت القصور التي شُيدت في هذا العصر بمثانة عمارتها وبوسائل الرفاهية التي زودت بها ، كالحمامات والنفورات ، كما زُخرف بعضها بشتى الرسوم الجدارية التي تظم صور الراقصات والموسيقيات وصائدات وحيوانات وطيور وسواها ، ومن بين الشواهد الدالة على فخامة القصور قول أحمد بن حرب المعروف بأبي هِفان ، يصف مجلسا للأمين بناه لنفسه فقال فيه :لم تر العرب ولا العجم مثله ، قد صور فيه كل التصاوير ، وذُهب سقفه وحيطانه و

[1] تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ، ص 17.

أبوابه ، و عُلقت على أبوابه سُتورٌ مُعَصفرة مذهبة ، وفرش بمثل ذلك من الفرش ... ، ثم ذُهب بالإبريز المخالف بالأزورد ، ذي أبواب عظام ومصاريع غلاظ تتلألأ فيها مسامير الذهب ، فقد قمعت رؤوسها بالجوهر النفيس وقد فُرش بفرش كأنها صبغ الدم ، مُنقش بتصاوير الذهب وبتماثيل العقبان ، و نَضَدَ فيه العنبر الأشهب و الكافور المصعد ، وعجين المسك وصنوف الفاكهة وشمامات التزايين "[1]، أصبحت بغداد من أهم مدن العالم العربي فهي تزخر بالقصور الجميلة و الدور و المساجد ، التي شيدها الخلفاء ، فأصبحت قبلة لعشاق الفن المعماري ، فثارةً تغنى بها الشعراء ، و ثارةً أخرى رَثَوهَا لِمَا حَلَّ بها من دمار وخراب فبكاها الشعراء بكاءاً مريراً ، بالإضافة إلى كل هذه الأمور عُرفت بغداد كذلك في العصر العباسي الأول " ببناء الزوارق والسفن والجسور ومختلف وسائل النقل والعبور ، فقد ورد ذكر عدد كبير منها في كتب المؤرخين و الجغرافيين و الرحالة ، كما تردد ذكرها في شعر عدد من الشعراء ، و كان الخلفاء والأثرياء في مقدمة من يستخدم هذه المراكب التي ظلت تَنْخُرُ عُبَابَ دجله للعبور بين الجانبين أو للسفر فيها ، كما كانوا يتخذونها للتجارة والنزهة واللهو والقتال ، وغيرها ، وكانت أشكالها متنوعة منها ما هو مصنوع على شكل حيوانات وطيور برية ، والبعض الآخر صُنع على شكل حيوانات نهرية وبحرية " [2].

فشاعرنا النواسي عاش في العصر العباسي الأول و عاصر الخلفاء ، فتمتع بكل مظاهر الحضارة والثراء ،وبألوان المعيشية الرغدة ، لذلك ثار على المقدمة الطللية وإستبدلها بالخمرة التي كانت سائدة في هذا العصر ، كما كان للعامل الحضاري أثر كبير على أبي نواس فهو الذي شهد تجدد الحياة في العصر العباسي الأول الذي بلغ أسمى درجات الرقي والتطور، فأبو نواس عاش في بلاط الخليفة الأمين " الذي بني سفينة على شكل دلفين ، باغت تكاليفها ثلاث ألاف درهم ، وقد

[1] مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي الأول ، 132- 232 هـ ،د. مصطفى بيطام ، ص 36-35 بتصرف .
[2] المرجع نفسه ،ص 39.

وصفها النواسي في مقطوعة شعرية تعد من الشعر المفرط في الرقى والوصف ، جعل البيتين منها في وصف السفينة ، وخص بالثلاثة الأخرى الأمين مدحًا وحمدًا " [1] ،وفي ذلك يقول :

" قَدْ رَكِبَ الدُّلْفِينَ بَدْرَ الدُّجَى، مُقْتَحِمًا لِلْمَاءِ قَدْ لَجَّجَـا

فَأَشْرَقَتْ دَجْلَةٌ مِنْ نُورِهِ، وَأَسْفَرَ الشَّطَّانِ وَاسْتَبَهَجَـا

لَمْ تَرَى عَيْنِي مِثْلَهُ مَرْكَبَا، أَحْسَنَ إِنْ سَارَ وإِنْ عَرَّجَـا

إِذَ اِسْتَحَثَّتْهُ مَجَادِيفُهُ، أَعْنَقَ فَوْقَ المَاءِ أَوْ هَمْلَجَـا

خَصَّ بِهِ اللهُ الأَمِينَ الذِي أَضْحَى بِتَاجِ المُلْكِ قَدْ تُوِّجَا"[2]

2-الشعوبية :

الشعوبية هي حركة ظهرت بَوَادِرُهَا في العصر الأموي ، إلا أنها برزت في بدايات العصر العباسي ، رُوادها يرون أنه لا فضل للعرب على العجم ، فهم يفضلون العجم ويحتقرون العرب، " والشعوبية مأخودة من كلمة شعب وهو جيل من الناس أوسع من القبيلة ، اِستندت في اصلها على معنى الآية القرآنية ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[3] ، وجاء في الصِّحاح الشعوبية فرقة لا تُفضل العرب على العجم ، وفي اللسان الشعوبي هو الذي يُصغر من شأن العرب ، ولا يرى لهم فضلا على غيرهم" [24]، فالشعوبيون غالبيتهم من الأعاجم وخاصة الفرس، الذين لَقَوْ معاملة قاسية من الأمويين ، فتحركت في نفوسهم نزعة عدائية ضد العرب والتي تهدف إلى النيل من مكانة العرب وتفضيل العجم عليهم ، فشاعر أبو نواس كانت لديه

[1] المرجع نفسه ،ص 41.

[2] الديوان ،ص 226.

[3] سورة الحجرات الآية 13

[4] أبو نواس ، بين التخطي والإلتزام ، علي شلق ، ص563.

نزعة شعوبية يُمجد كل ما هو فارسي ، لأنّ أمه كانت فارسية ، فكان يخدم هذه النزعة، فحط من شعر العرب و من عاداتهم وتقاليدهم ، فأخذ " يُشِيدُ بحضارات الفرس ومآثرهم ، ويفضلهم على العرب ، إلا أنّه لا يفتخر بِانتمائه إليهم كما فعل بشار بن برد ، وإسماعيل بن سيار قبله ، ومهيار الديلمي بعده ، فقد اِنتسب إلى أكثر من قبيلة عربية ، بدأ بِانتسابه إلى بني بكر بن وائل ثم إلى بني تميم فالنزارية فاليمانية ، وفي النهاية اِنتسب إلى اليمن وظل على ذلك يفضل التعاجم و يُشايع الشعوبية في ظل اِحتقار الحياة البدوية ،و تفضيل الفرس على العرب "[1] ، في ذلك يقول :

"اسْقِنِيهَا، وغَنَّ صَوْ تاً، لَكَ الخَيْرُ، أَعْجَمَـــــا

لَيْسَ فِي نعْتِ دِمْنَةٍ ، لاَ وَلاَ زَجْرِ أَشْأَمَـــــــــا"[2]

ويقول أيضا :

" تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحْ فِي عَسْجَدِيَّةٍ، حَبَتْهاَ بأَلْوَانِ التّصَاوِيرِ فَارِسُ

قَرَارَتُهَا كِسرَى، وَ فِي جَنَبَاتِهَا مَهاً تُدِّرِيهَا بِالقِسَيِّ الفَوارِسُ"[3]

إن شعوبية أبا نواس ، تتمثل في دعوته إلى هجر المقدمة الشعرية التقليدية ، ودعوته إلى مسايرة مظاهر الحياة التي تتجدد وتتطور في مخلف ميادينها ، كما دعا الناس إلى شرب الخمرة و تلدد بها ، فهو أراد أن يترك بصمته في مجتمعه ، وأن يُثبت تميزه عن غيره ،" وإنّ المتصفح لشعره، وبالخصوص الذي أنشده في تفضيل الفرس على العرب يلحظ أن الشاعر ظل ينقاد بروحه الشعوبية إلى بناء أسلوب جديد ينقض به الأسلوب القديم ، من وقوف على الأطلال وبكاء على الدمنة ،ووصف النُّوق و الشِّياه ، و الوحش و القفائر فَيَعُوجُ على الخمارات ، ويصف الملاهي ومجالس اللذات

[1] مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال التجديد في العصر العباسي الأول (132- 232 هـ) ، د. مصطفى بيطام ، ص372.

[2] الديوان ،ص 1103.

[3] المصدر نفسه ،ص 710 .

ومحاسن العمران ويهزأ بالشعراء الذين يقفون على الدّيار ويبكون رسومها البالية ،ويستنطقون آثارها ، ويسألونها عن ليلى وهند وسواهما من عرائس الشعر القديم ، ويدعوهم إلى إتباع مذهبه في اِغتنام اللّذة وتصوير حياتهم وبيئتهم ، لاحياة الأعراب وبيئة البادية ، ومن الأشعار التي تُعد نموذجا قد يكون فريدا من نوعه عند أبي نواس ما قاله يفتخر فيه بالفرس ويُفضلهم على العرب "[1]،يقول :

"دَعِ الرّسْمَ الذي دثَرَا، يُقَاسِي الرّيحَ والمطَـــــــرَا
وَكُنْ رَجُلاً أَضاعَ العلْـ ـمَ في اللَّذّاتِ والخـــــطَرَا

أَلَمْ تَرَ مَا بَنَى كِسْرَى ، وَ سَابُورٌ لِمَنْ غَبَـــــــــرَا
مَنَازِهُ بين دِجلَةَ والْـ ـفُرَات تَفَيَّأَتْ شَجَـــــرَا

بأَرْضٍ باعَدَ الرّحْـ ـمَنُ عَنْهَا الطَلَحَ والعُشَرَا
وَلَمْ يَجْعَل مصَادَاهَا يَرابِيعاً، وَ لَا وَحَـــــــرَا"[2]

من خلال هذه القصيدة نُلاحظ أنّ الشاعر ثار على الأطلال أولا ، ثم دعا إلى الوقوف على ما تزخر به ضواحي الفرات والدجلة من آثار فارسية ،شاهدة على ما شَيده كسرى وسابور ، فالأطلال خالية لاتصلح لشيء ينموا فيها الطلح والعشرا ، عكس ما تحتوي عليه الفرات والدجلة من الأنهار والحدائق الناظر الخلابة تصُر الناظرين .

ومن مظاهر الشعوبية الإحتفال بعيدي النَّيْرُوزْ والمهرجان ، وهما من الأعياد الفارسية التي كانت تقام لهما اِحتفالات شعبية عامة في العصر العباسي الأول أي العصر الذي عاش فيه أبو نواس ، "والنيروز عند الفرس أول يوم في السنة الشمسية عند نزول الشمس ، ومعناه بالفارسية (يوم جديد) لأنه يؤذن بمقدم الربيع الذي يَرُدُ على الدنيا شبابها وجدتها وهو عيدهم السنوي يقضونه في التنزه

[1] مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول (132- 232هـ) ، د. مصطفى بيطام ، ص 373.
[2] الديوان ص662 .

والشرب ، وكان أبو نواس يحتفل بأعيادهم ، كما كان يتزين بِزِيّهِمْ ويُظهر للنَّاس أنّه منهم" [1]، فهو ها هنا يصف لنا عيد النيروز يقول :

"يُبَارِكُنَا النُّورُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى بِنَوْرٍ عَلَى الأَغْصَانِ كالأَنْجُمِ الزُّهْـــرِ

يَلُوحُ كَأَعْلاَمِ المَطَارِفِ وَشْيُهُ مِنَ الصَّفْرِ فَوْقَ البِيضِ وَالخُضْرِ والحُمُرِ

إِذَا قَابَلَتْهُ الشَّمْسُ أَوْمَا بِرَأْسِهِ إِلَى الشُّرْبِ أَنْ سَرُوا ، وَمَالَ إِلَى السُّكْـرِ" [2]

ويقول أيضا :

"أَمَا تَرَى الشَّمْسُ حَلَّتِ الحَمَلَا ، وَقَامَ وَزْنُ الزَّمَانِ ، فَاعْتَـــدَلاَ.

وَغَنَّتِ الطَّيْرُ بَعْدَ عُجْمَتِهَا وَاسْتَوْفَتِ الخَمْرَ حَوْلَهَا كَمَـــلاَ

وَاكْتَسَتِ الأَرْضَ مِنْ زَخَارِفِهَا وَ شَيَ نَبَاتٍ ، تَخَالُهُ حُلَـــــلاَ

فَاشْرَبْ عَلَى جِدَّةِ الزَمَانِ ،فَقَدْ لأَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ مُقْتَبِـــلَا

كَرَخِيَّةٌ تَتْرُكُ الطَّوِيلَ مِنْ اَلْ عِيشَ قَصِيرَا ، وَتَبْسُطُ الأَمَـلَا " [3]

فكان يُقام الإحتفال بهذا العيد في فصل الربيع ، فيحتفل به النّاس والوزراء والخلفاء وحتى الشعراء، فيتبادلون الهدايا فيما بينهم ، على غرار الصور المصنوعة من العنبر ، و الأواني المصنوعة من الفضة والذهب ،نستنتج من هذا كله أنّ العامل الحضاري والشعوبية كان لهما أثر كبير في حياة النواسي ، فبسببهما تخلى عن المقدمة الطللية ، ضِيفَ إلى ذلك حُبه الشديد للخمرة وتعلقه بها ، حيث أَلِفَ مجالسها ، ودعا النّاس إليها ، كل هذه الأمور جعلته يُحلّ الخمر بدل الطلل .

[1] أبو نواس ، قصة حياته وشعره ، عبد الرحمن صدقي ، ص54 .

[2] الديوان ،ص 522 .

[3] المصدر نفسه ، ص 984.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تحدثنا فيها عن أبي نواس ، وعن ثوته على المقدمة في الشعر العربي القديم ، وعن العصر الذي عاش فيه ، خرجنا من هذا البحث بعدة نتائج ، أهمها يتلخص فيما يلي:

1. إنّ القصيدة العربية قديما ، كانت تقوم على وقوف الأطلال ، و التغزل بالحبيبة ، ثم يذكر الشاعر ما يختلج صدره من شوق وحنين إلى الأيام التي خلت ، ونجد هذه المقدمة في الشعر الجاهلي خاصة المعلقات ، لكنها اِستمرت في العصور اللاحقة .
2. جاء العصر العباسي حاملا معه مظاهر التجديد لا سيما على مُستوى الشعر ، فظهر شعر اللهو المجون ، ووصف القصور وما يحيط بها ، كما وصفوا رحلات الصيد والطرد ، كذلك ظهرت وتطورت أغراض جديدة مثل : المدح ، الهجاء ، الرثاء ، الغزل ، الزهد ، التصرف، الوصف...
3. يعتبر أبو نواس من أعلام هذا العصر ، فهو الذي ثار على المقدمة الطللية ، واِستبدلها بالمقدمة الخمرية ، وهو بذلك حرر الشعر من اللهجة البدوية، ونَظَمَهُ بالطريقة الحضرية .
4. إنّ أبو نواس شاعر الخمرة بلا مُنازع ، فهي أصبحت فنًا مُستقلا على يده في الأدب العربي ، حيث نظم في جميع أنواع الشعر ، وأجودُ شعره خمرياتُهُ .
5. وصف الخمرة و أوانيها وأشكالها ، ووصف مجالسها ، وما تضمه من سُقاة وندمان وغناء ولهوٍ وطربٍ ، فهو لم يصفها فقط ،بل قدسها تقديسًا .
6. أصبحت الخمرة مِحْوَرَ القصيدة بعدما كانت مُجرد موضوع يأتي الشاعر على ذكره من خلال قصيدته .
7. تتميز خمريات أبو نواس بقوة الإحساس ، وببساطة التعبير، وسهولة اللغة، كما اِمتازت عن خمريات سابقيه بوحدة الموضوع ، حيث تكون كُل القصيدة مَدَارُهَا الحديث عن الخمرة .
8. أثارت شخصية أبي نواس الكثير من الجدل بين النُقاد القُدامى و المعاصرين ، فهناك من إتهمه بالزندقة والمجون ،ووصفوه و وصفوه بالفَاجِرِ لاسِيَمَا فيما يتعلق بخمرياته ، أما الآخرون فيُقرون بعلمه وأدبه وثقافته الواسعة .

9. إتجه إلى الزّهد في آخر حياته ، و يُقال بأنّه ثاب عن ما كان فيه ، وقد أنشد عدة قصائد تدل علي ذلك .

وفي الختام ، لايمكن لهذا الجهد المتواضع أن يُلم بِكُلّ ما قِيل وَدُرِسَ في هذا الموضوع ، و لكني أرجو أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم، وأسألهُ سبحانهُ الرّضى والتوفيق .

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم ، برواية ورش .
- الحديث الشريف .

أولا : المصادر :

- ديوان أبي نواس ، دار نوبلس ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، بأجزائه الثمانية .
- ديوان الأخطل ، شرحه و صنف قوافيه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، سنة 1994.
- ديوان الأعشى ، حققه د.محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النمودجية، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت.
- ديوان اِمرىء القيس ، ضبطهُ و صححهُ الأستاذ مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط5 ،د.ت.
- ديوان زهير بن أبي سلمى المزني ، شرحهُ الأديب يوسف الأعلم الشنتمري ، مطبعة الحمدية المصرية ، ط1 ،د.ت.
- ديوان طرفة بن عبد البكري ، شرحهُ الأديب يوسف الأعلم الشنتمري ، طُبع بمطبع برطرند، مدينة شالون ، د.ط ، د.ت.
- ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه و حققه و شرحهُ ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط1 ،سنة 1991.
- ديوان عنترة بن شداد ، اِعتنى به وشرحه حمدُو طِماس ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط1 ، سنة 2004.
- ديوان الوليد بن يزيد ، جمعه و حققه واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، سنة 1988.

ثانيا : المراجع :

- أبو نواس بين التخطي و الإلتزام ، د.علي شلق ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، سنة 1964.
- أبو نواس بين العبث و الإغتراب و التمرد ، د.أحلام الزعيم ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1981.
- أبو نواس قصة حياته وشعرِه ، عبد الرحمان صدقي ، دار المعارف الإسلامية ، د.ط ،د.ت.
- أبو نواس ، عباس محمود العقاد ، مؤسسة هندامي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت.
- أبو نواس ، عبد الحليم عباس ، دار المعرفة ، النيل ، القاهرة ، ط3، د.ت.
- أدباء العرب في الأعصر العباسية ، حياتهم، آثارهم ، نقد آثارهم ، بطرس البستاني ، ط.جديدة ، دار نظير عبود ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط17 ،سنة 1989.
- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة ، د.محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة كورنيش النيل ، القاهرة سنة 1962 ،د.ط.
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، د.حامد حنفي داود ،ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة 1993 ،د.ط.
- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول د.شوقي ضيف ، دار المعرفة ، ط16 ،د.ت.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1986.
- حديث الأربعاء طه حسين ، دار المعارف ، منتدى مكتبة الإسكندرية ، ط14 ، د.ت،ج2.

- دراسات في الشعر الجاهلي ، يوسف خليف ، دار غريب القاهرة ، سنة 1981 ، د.ط.
- الرمز الشعري عند الصوفية ، د.عاطف جَودَةُ نصر ، دار الأندلس و دار الكندي للطباعة والنشر ،ط1،سنة1978.
- شرح المعلقات السبع ، الإمام القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.
- الشعر العباسي ، قضايا وظواهر ، عبد الفتاح نافع ، دار جرير ، ط1 ، سنة 2011.
- شعر اللهو و المجون ، تاريخه و أعلامهُ ، الأعشى ، الأخطر ، أبو نواس ،جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د.ط ، د.ت.
- شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، دراسة تحليلية ، د.عزة حسن، دمشق ، سنة 1978،د.ط.
- شعر الوقوف على الأطلال ، د.غزة حسين ، طبعة الترقي ، دمشق ، 1986.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د.مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط6 ، سنة 1986.
- الصورة الشعرية ونماذجها في شعر أبي نواس ، د.ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسة و التوزيع ، بيروت ، لبنان ،سنة1982 ،د.ط.
- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيرو ت،لبنان ،ط10 ،د.ت.
- الطبيعة في الشعر الجاهلي ،د.نوري حمودي القيسي ، دار الإرشاد ، بيروت ، لبنان ، سنة 1970 ،د.ط.
- فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1،سنة 1997 .
- المجاني الحديثة ، البستاني فؤاد إفراد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،سنة 1972، ج1.

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، الدولة العباسية ، الشيخ محمد الخضري بك ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، ط1 ، سنة 2003.
- مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ د.مصطفى بيطام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة 1995 ،د.ط.
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، د.حسين عطوان ، دار المعارف، مصر ، د.ط،د.ت.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، دار الجيل ،بيروت ، لبنان، ط1 ، د.ت.
- الموجز في الأدب العربي و تاريخهُ ، حنا الفاخوري ، مجلد2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، سنة 2003.
- موسوعة الحضارة العربية ، العصر الجاهلي ، بطرس البستاني ، ط1 ،سنة 2005 .
- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 سنة 1981.

ثالثا: الرسائل و المذكرات :

- الإتجاه التجديدي و أثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول ، دراسة تحليلية نقدية ، للطالب أحمد الطيب خوجلي عباس ، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة أمدرمان الإسلامية سنة 2007.
- الإنقلاب المعرفي المواجهة الثقافية في شعر أبي نواس ، ألاء عزام عبد الوهاب عودة ، أطروحة لنيل درجة الماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، سنة 2014.

- صراع الحضارات و أثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول ، القرن الثاني للهجرة ، للطالب أحمد عبد القادر محمود ، أطروحة لنيل درجة ماجستير بكلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، سنة 2003.

الملخص

الملخص:

إنّ أبا نواس ثار على التقاليد العربية الموروثة ، و نادى بأن يحلّ الخمر محل الطلل ، فهو رائد الشعر الخمري في الأدب العربي ، فالخمرة عنده تعكس مظاهرة الحضارة في عصره ، من ترفٍ و بذخٍ، فهو الذي دعا إليها و حث على الإكثار منها ، فهي وسيلة لتبديد الأحزان ، و كشف منابع الحُسن والجمال ، فوصفها و وصف أوانيها و شكلها و مجالسها ، و ما بتلك المجالس من لهوٍ وغناءٍ وطربٍ، فهو بذلك أعطى لهذا الفن الجديد أهمية كبرى .

الكلمات المفتاحية : أبو نواس ، الثورة ، المقدمة الطللية ، المقدمة الخمرية .

le résumé :

Abou nouass à révolté contre toues les traditions arabes érritieés et pousser un cri pour qu'on remplaçait les monuments au lieu du vin, C'est le leader de la poésie du vin e en littérature arabe , le vin pour lui manifeste la civilisation le luxe et la richesse, il les appelés exhortés c'est la solution pour oublier la tristesse et trouver les sources de beauté il la décrité avec ses pots sa forme et sa compagnie de joie de chant et de ravissement ,c'es pour ça qu'il a apporté une grande importance a ce nouveau art.

mots clés : abou nouass , a révolution , l'introduction talalia, l'introduction vinicole.

Summary:

Abou nouass revolted against inherited arab traditions and called for wine to replace the ruins, hi is the pioneer of wine's peotry alshiar alkhamri in arabic literature , wine for him reflexed the manifestation splendour , he is the one who called for it and urged to multiplified it , it's a mean of dispelling sorrows and revealing the sources of goodness and beauty, so he described it and described its utensils and its form and councils, and what's in those councils of fun and singing and glee , so he gave this new art a great important.

Key words: abou nouass, revoution, introductory presentation, introductory to wine.